أحمد الدمناتي

محمد حلمي الريشة
تدريب البياض على الخيانة

حوار ومختارات شعرية

منشورات
وزارة الثقافة

أحمد الدمناتي : تدريب البياض على الخيانة
الإيداع القانوني : 2012M0 0265
ردمـــك : 978-9954-581-24-7
منشورات وزارة الثقافة
سحب : مطبعة دار المناهل - 2012

أحمد الدمناتي

محمد حلمي الريشة
تدريب البياض على الخيانة

حوار ومختارات شعرية

منشورات وزارة الثقافة

إلى ابني الغالي العزيز محمّد

متسامحًا وكريمًا كجدّته

نبيلاً وطيّبًا كجدّه

حنُونًا ووَفِيًّا كأمّه

أنيقًا ووديعًا كأختَيْه

(أحمد الدمناتي)

أَشـعرُ بـأَنَّني حـصانُ شـعرٍ ذو صَـهيلٍ عـالٍ، في
جَغرافيـا لا حـدودَ لهـا، مكـسوَّةٍ بـإِبرِ الرَّمـلِ
السَّاخنةِ، والأَعشابِ المأْكولـةِ، يهرعُ حافيًا نحوَ
حدائقِ الأَسفِ.

(محمَّد حلمي الرِّيشة)

حوار

أعلى دَرجاتِ التَّجلّي الشِّعري
أَن تكونَ المرأةُ / الأُنثى هيَ القَصيدة

يقود هذا الحوارُ اللغة إلى سفر شيّق يَهَبُ خصوبته للمتلقي بوصفه شهادة حسن النية في مصاحبة القصيدة لأسرارها الخبيئة بطيبوبةٍ نادرةٍ، كما تحكمه الشساعة في طرح قضايا إبداعية وجمالية وتخيّلية متعلقة بالإبداع والترجمة، وزمن الكتابة، والذكريات العتيقة مع طفولة أول قصيدة طريّة في بهو الذاكرة محكومة بدهشة الحنين والفرح الصغير الذي يتساقط من فردوس الغبطة مبتهجًا بمحبته الأنيقة.

في كل مرة كنت أظن أني أربكه أو أسيّجه بأسئلة عصيّة، فيخرج منتصرًا بأناقة لغته من شقوق سرية يعرف أبوابها وحده فقط، وكأنه يُضاعف اختراق متخيّله بفاعلية متوهجة بحنين لا

يضل طريقه نحو الينابيع ارتواءً للمجهول واللايقين، وخصوبة ضد المحو والنسيان المكثف. لا هدنة مع الحوار عندما تكون الأسئلة فِخَاخًا والأجوبة مكائد.

غنى في المتخيل والرؤية والحدس والذاكرة التي تتسم بها إجابات الشاعر والكاتب والمترجم محمد حلمي الريشة في هذا الحوار العميق، الشيق، الثري، الذي ينفتح على أسئلة القصيدة بممكناتها التخيّلية وخياراتها الإبداعية والجمالية لتأسيس شروط وجودها في الذات كما في الكون، وهاجس انتسابها لحركية الإبداع أفقًا لتخصيب ملامح اللغة. إنه الذهاب إلى ضفاف القلب بيُتم المعنى، وتخوم الجسد بلغة تهيّجها الذاكرة الاسترجاعية من رحم زمن فَر سريعًا كبرق خاطفٍ.

هو حوار في اللغة وبها مع شاعر خبر أهوال المخاطرة في جُب القصيدة، متشردًا بأناقة هنا وهناك في فلوات المعنى، صَاحَبَ فتنة اللغة الشعرية منذ عقود منتشيًا بالكلمة العميقة، منقبًا، جوالاً، منعزلاً، مندهشًا، منفجرًا، هادئًا، وديعًا، صاخبًا، ضاجًّا بالحياة، مشاكسًا، مستسلمًا لنداء الشعر وأقاصيه الرحبة والرحيبة المتيمة بسؤال المحبة والإنصات والتواضع.

حوار يتجسس بعمق على المناطق الخفية للشاعر، لا يُقدم أسئلة بقدر ما يثير أسئلة في الوجود والكتابة والشعر واللغة مبتهجًا بعينٍ لاقطةٍ في تجذير سؤال الإبداع بما هو دخول طري، ندي، طازج، عذب، نيئ، في المجهول واللايقين واللامفكر فيه، حيث البحث عن مواطن الجمال في خرائط المتخيل قضية أساسية يستعذبها أفق جمالية التلقي ويستلذها.

ملزم أنت باستثمار غني وذكي وعميق للأسئلة استعدادًا لِمَكْرِ الأجوبة، وخِبرتها في ترويض الألغام المدسوسة في خيمة اللغة. المُحَاوِرُ يشحذ ذخيرته باستمرار للحرب القادمة، والمُحَاوَرُ يسترد أنفاسه كاملة تحسبًا لهجوم مبكر على مواقعه الآمنة دائمًا، بين الكرّ والفرّ تؤسس لغة الحوار خصوبتها غير عابئة بحروب تدور هنا، أوهناك، في غفلة من دهشة حلمها بتجديد علائقها بالوجود والذات والكون، وكأنها المنذورة لاستقطاب حدس الاستشراف المشرق بابتهاج المعنى العاري، النقي، الدافئ كحضن امرأة لا تأتي في الموعد المحدد لاستكمال ألق أنوثتها.

هكذا، يصبح الحوار سيرة حياة شاعر. إنصات ومكابدة حقيقية لنداء القصيدة في ديمومة ولادتها المتجددة، وهي الراغبة

بشهوة عنيفة في توريط العين، قبل القلب، في سفر يستحبّ بعناية دقيقة منفى اللغة اختيارًا واندهاشًا، لا إصرارًا وإكراهًا.

هي مقدمة لا تريد توجيهًا مسبقًا للقراءة بقدر ما هي تحريض العين لقراءة الكتاب بضوء القلب، فالقلب دليل الإنسان بقوة بصره وبصيرته في ارتياد المجهول، واكتشاف الألغاز والأسرار، وهو حوار له غبطة التجسس على مغارة آهلة بالعجائب والغرائب، ومتعة التلصص على كهف تأوي إليه الجميلات خوفًا من حزم ودهاء شهريار.

أحمد الدمناتي

(المغرب- العرائش ٢٠/ ٠١/ ٢٠١٠)

لحظاتٌ شرسةٌ ومحبَّبةٌ في آنٍ

* درجة الوعي عند الشاعر بخطورة الانتساب بصدق للقصيدة، يجعله يتهيب للسفر في مجهولها. كيف يستطيع الشاعر أن يتّق شراسة المصافحة الأولى مع النص لحظة الكتابة؟

- كلُّ وَقتٍ/ أَوقاتِ كتابةِ القصيدةِ لحظاتٌ شرسةٌ تنهشُ في الشَّاعرِ كلَّ شيءٍ. إِنَّها تحمِلُه إِلى أَراضٍ جديدةٍ، ومُناخٍ مُغايرٍ كلَّ مرَّةٍ. هيَ لا تشبَعُ من إِنهاكِ شاعرِها كلَّما مارَستْهُ بَدْأً منَ اسْتلقائِها ورقةً بيضاءَ مُغوِيةً، وحتَّى امتلائِها بما يشبِهُ التَّخطيطَ الأَوَّليَّ للَوحةٍ سِرياليَّةٍ.

هيَ، أَيضًا، وقتُ/ أَوقاتُ حبٍّ بينَها وبينَهُ حينَ يُوافِقُهما اللِّقاءُ، ويختلِفانِ فيهِ على بعضِهما، في بعضِهما، حدَّ الامتزاجِ الذي لا يُمَكِّنكَ من مَعرفةِ الشِّعرِ منَ الشَّاعرِ.

نوافذُ عاليةٌ من ضبابٍ يابسٍ

* ما هو الباب الذي تفتحه القصيدة لك سريعًا عند لقائك بها في مُنحدر اللغة؛ باب الطفولة، باب الحنين، باب الحب، باب النسيان، باب المرأة، باب المكان، باب الأم، باب الدهشة، باب الذكرى، باب الوجع، باب الأمل... وللشاعر في أبوابه أسرار وألغاز؟

- أَوّلاً: ليتَهُ منحدَرٌ، بل هوَ صعودٌ ("كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ"- القرآنُ الكريمُ).

ثانيًا: ما من بابٍ محدَّدٍ، لأَنَّ القصيدةَ لا أَبوابَ لها، بل توجَدُ نوافذُ عاليةٌ ذاتُ إِطاراتٍ من ضبابٍ يابسٍ، والشَّاعرُ في غُرفةٍ محاطًا بجُدرانِ الوَحدةِ، والعزلةِ، واليأْسِ.

إِنَّهُ يُريدُ أَن يطيرَ خارجَها، تحملُه جوانحُ قصيدتِه نحوَ آفاقِ الحبِّ والفرحِ والدَّهشةِ والمتعةِ و...، التي يجبُ أَن تحقِّقَها القصيدةُ، وصولاً إِلى إِحساسِكَ بالشِّعرِ أَنَّهُ "مثلُ الوقوفِ على حافَّةِ بحيرةٍ يغمرُكَ عندَها نورُ القمرِ طوالَ الوقتِ"، كما أَحسَّهُ (كولينز).

القصيدةُ الضَّيفُ

❋ من المحو نكتشف مجهول الكتابة، وعمق المخاطرة مع ضيافة القصيدة، من الذي يكون ضيفًا على الآخر القصيدة أم الشاعر؟ أم كلاهما في ضيافة متعة تفتك بتكهنات عرّافة؟

– هيَ مَن تأْتِي لِتحلَّ ضيفةً على الشَّاعرِ، وعليهِ أَن يكونَ حاضرًا وجاهزًا لها، لأَنَّها لا تحبُّ أَن تحضرَ دونَ أَن يكونَ شاعرُها في اسْتقبالِها، وعليهِ أَن يُحسنَ اسْتقبالَها، ويُتقِنَ ضيافتَها كي تقبلَ المكوثَ. بعدَ هذَا، يتماهيانِ معًا في حالةٍ منَ اللاَّشعورِ/ واللاَّوعي، حتَّى يَصِلا إِلى سؤالِ الشَّاعرِ (وليم بتلر ييتس) المُدهشِ/ المُذهلِ: "كيفَ نعرِفُ الرَّقصَ منَ الرَّاقصِ؟!"

المرورُ بينَ الشَّيءِ وضدِّهِ

❋ الكتابة الشعرية انخراط عنيف في الإنصات لعوالم الداخل المشبعة بالجرح والحلم، تعرية لتضاعيف الذاكرة بِشعلة القصيدة. هل تؤمن بأن الشعر قادر على تغيير العالم إلى ما هو أنقى وأصفى في ظل السلم والسلام بعيدًا عن الحروب وقتل الأبرياء والشيوخ والنساء والأطفال؟

- لا شِعر دونَ فكرةٍ/ أفكارٍ، حتَّى "الفانتازيا" الشِّعريَّةِ، أَو الشِّعرِ "الفانتازيِّ"، لا بدَّ وأن يحملَ فكرةً ما، ذلكَ أَنَّ الشِّعرَ لا يولدُ من فراغٍ، أَو عدمٍ، ولا يَحيا في اللاَّشيءِ، أَو يكونُ لِلاَشيءِ.

الوطنُ، مثلاً، فكرةٌ جماليَّةٌ عُليَا/ سماويَّةٌ، وهو غيرُ قابلٍ للقسمةِ إلاَّ على واحدٍ، والاحتلالُ فكرةٌ دونيَّةٌ، لِما فيها من بشاعةٍ، وحقدٍ، ودمٍ مباحٍ دونَ وجهِ حقٍّ، وإِنسانيَّةٍ مهدورةٍ من لا إِنسانيَّةٍ حقيرةٍ، لذَا فهو إِلى زوالٍ، مهما عمَّرَ من خرابٍ.

الشِّعرُ يحاولُ المرورَ بينَ الشَّيءِ وضدِّهِ منتصرًا للجمالِ والحبِّ والإنسانِ- الإِنسانِ، لهذا أَجدُني شاعرًا أَقسو على قصيدتِي بما أَستطيعهُ من حنانٍ، كي تُطلَّ من شرفةِ القلبِ بأَبهى ما يمكنُ، مهمَا كانت موضوعتُها.

إِنَّني لا أَعتقدُ أَنَّ القصيدةَ تستطيعُ، وعمومَ الكتابةِ، مهما بلغتْ من بلاغةٍ، أَن تجمعَ أَشلاءَ طفلٍ تناثرتْ في حضنِ أُمِّهِ وهي تُرضِعهُ، ولا تستطيعُ حتَّى محوَ دمعةٍ حارقةٍ عن خدِّها المُتصدِّعِ. لستُ أَشكو عجزَ الشِّعرِ، لأَنَّ الحواسَّ، وهيَ الأَساسُ في الكتابةِ الإِبداعيَّةِ، لا تستطيعُ أَن تمسكَ قلمًا وهيَ تُشوَى في أَتونِ الحربِ.

للأَسفِ الشَّديدِ، فإِنَّ الشِّعرَ لا يستطيعُ أَن يُرجعَ فوَّهـةَ دبَّابـةٍ مترًا واحدًا للخلفِ.

جَغرافيا إِنسانيَّةٌ

* هل القـصيدة قلعـة الـشاعر الدائمـة يحتمـي فيهـا وبهـا مـن عواصف الحزن والاغتراب والشجن، أم نافـذة يطـل منهـا عـلى أشيائه السرية والحميمة؟

- هيَ هكذا عندَ شعراءَ، وهكذا عندَ شـعراءَ آخـرينَ، لكنَّهـا في كـلا الحـالتينِ ليـستْ قلعـةً، بـل هـيَ جَغرافيـا إِنـسانيَّةٌ بكـلِّ شسَاعاتِها وفـضاءاتِها. أَنـا أَقـربُ كثـيرًا في قـصيدتي مـن ذَاتي بـما تُشرِقهُ الحواسُّ آناءَ الكتابةِ، فالقصيدةُ التي تنبعُ من قـرارِ الـذَّاتِ وتخطُّهـا الحـواسُّ، هـي الأَصـدقُ، خـصوصًا إِذا كانـت حمولتُهـا الجماليَّةُ في أَقصَى حالاتِها.

تشاسعُ مساحةِ البياضِ

* للقصيدة مآزقها ومكائدها ومضائقها وكمائنها أيـضًا، هـل يستطيع الشاعر النجاة من هذه المكائد والكمائن دائمًا؟

- لا يُمكِن أَن ينجحَ الشَّاعرُ بعبورِها في كلِّ قصيدةٍ، بل وفي أَيَّةِ قصيدةٍ، لأَنَّ الشِّعرَ صَعبٌ ("أَعسرُ من قلعِ ضِرسٍ" كما قالَ الفرزدقُ)، وصهوتُه تعلُو أَكثرَ فأَكثرَ كلَّما انتَهى الشَّاعرُ من نصٍّ جديدٍ، وتزادُ الصُّعوبةُ كلَّما وجدَ مساحةَ البياضِ تتشاسعُ في دواخلِه كما هوَ الحالُ في بياضِ الصَّفحةِ، فيتتابُه الأَسى العارمُ لأَنَّهُ يشعرُ أَنَّهُ لمْ يُنجِزْ شيئًا بعدُ. عملُ الشَّاعرِ هُنا أَن يحاولَ تذليلَ ما استطاعَ مِنها/ إِليها سبيلاً، لأَنَّها من طبيعةِ القصيدةِ ومكوَّناتِها، ولأَنَّ الشِّعرَ ليسَ اسْتقامةَ نهرٍ ضحلِ الماءِ، فيهِ السِّباحةُ مثلَ طيرٍ يطيرُ في فضائِه، بلِ الشِّعرُ/ القصيدةُ مجهولاتٌ تتوَالى فجائيَّةً، تتَّسعُ وتضيقُ، تعلُو وتهبطُ، تكونُ أُفقيَّةً وعموديَّةً بين لحظةٍ وأُخرى، تكتمُ الأَنفاسَ، وتزيدُ من إِيقاعِ ضرباتِ القلبِ، كأَنَّها الدُّخولُ في رحمِ الموتِ لاستخراجِ شهادةِ وِلادةٍ.

لغةٌ تروِّضُ كلَّ شيءٍ

* تتغذى القصيدة من الأمكنة وهي تؤسس عبورها نحو المهاوي الحلمية بهدوء، هل بمقدور الشاعر ترويض المكان باللغة؟

– الشِّعرُ لغةٌ أَوَّلاً. اللُّغةُ الشِّعريَّةُ تَقدِرُ على تَرويضِ كلِّ شيءٍ، لكنَّهُ ترويضٌ أَكثرُ ما يكونُ حُلميًّا.

بالتَّأْكيدِ هذَا الحلميُّ شيءٌ باعثٌ على التَّأَمُّلِ، فالدَّهشةِ، وهذا ممَّا يُشتَهى من الشِّعرِ، وإِن كانتِ اليقظةُ منَ الحُلمِ، في بعضِ حالاتِها، صدمةً كوميديَّةً.

قلتُ ذاتَ قصيدةٍ:

"بِاسْتِطَاعَةِ اللُّغَةِ أَنْ تَأْتِيَنِي:

بِعَرْشِ سَاقَيْهَا الْغَضِّ
بِمَنَابِتِ عُلُوِّهَا تَحْتَ سَفْحِ فِطَامِي
بِأَيَائِلِ نَظَرَاتِهَا السَّائِبَاتِ
بِتَأْوِيلِ طَلَّسْمِهَا الْفَادِحِ فِي هُبُوبِهِ

لكِنْ..
مَنْ سَيَأْمَنُ لِي
أَنْ لَا تُوقِظَنِي وَخْزَةُ شَعْرَةٍ لَهَا
مِنَ الْحُلُمِ؟"

الشِّعر التَّشكيليُّ

* تلعب على الثقافة البصرية للقارئ من خلال التوزيع الفضائي للنص على صفحة المجموعة الشعرية، هل هذه التقنية الذكية تجعل من القصيدة لغة ولوحة؟ أم هو تدريب المخيلة على قراءة الشعر من مكان جمالي آخر؟

– القصيدةُ هيَ وعاءُ الشِّعرِ. هذا الوعاءُ كانَ لأَكثرَ من أَلفٍ وخمسمائةِ سنةٍ جامدًا صلبًا، نظامًا قاسيًا وضيِّقًا، جعلَ أَجنحةَ الشِّعرِ تُرفرِفُ في الإناءِ الواحدِ، وهذا ضدُّ الشِّعرِ الذي هوَ ضدُّ الزَّمانِ والمكانِ، والذي يعشقُ الحرِّيَّةَ ويُعشِّقُها بلُغتهِ، والذي يحبُّ، اشْتهاءً، الدُّخولَ إلى عوالمَ مجهولةٍ لمْ يكتشِفْها شِاعرٌ قبلَهُ. ["يقولُونَ إِنَّكَ فوضَويٌّ لأَنَّهم بحاجةٍ إلى الحدائقِ، وليسَ إلى الأَدغالِ" (جيمي سابينيس)]، والتَّحليقَ في فضاءِ الحياةِ كغَيمةٍ حُبلَى، والبياضَ الذي يشكِّلُ لهُ تحدِّيًا إِغوائيًّا لينقُشَ الكلامَ فيهِ كأَنَّهُ يمامٌ أَزرقُ.

"الشِّعرُ رسمٌ ناطقٌ، والرَّسمُ شعرٌ صامتٌ" كما يقولُ (سيمونيدس)، لكنَّ "الشِّعرَ يفوقُ الرَّسمَ؛ فالرَّسمُ ينحصرُ في مكانٍ محدَّدٍ، ويلتزمُ ملمحًا معيَّنًا لوضعٍ أَو حدثٍ، بينَما يقوَى

الشِّعرُ على عرضِ موضوعٍ ما في عمقِه، وعلى مدَى تناميهِ الآنيِّ"
كمَا يقولُ (هيجل).

الشَّكلُ البَصَريُّ للنَّصِّ الشِّعريِّ لديَّ هوَ حالةٌ طبيعيَّةٌ ناتجةٌ عن تدفُّقِ الكلامِ على الصَّفحةِ/ البياضِ، هذا التَّدفُّقُ يحمِلُ معهُ خطَّ مَسارِهِ واتِّجاهاتِه؛ أُفقيًّا، انسيابيًّا، مائلاً، متقطِّعًا، فراغيًّا، ... وهكذَا.

إنَّ الشِّعرَ تشكيلٌ بالكلامِ (أُسمِّيهِ الشِّعرَ التَّشكيليَّ)، لأَنَّ الكلامَ لهُ إيقاعٌ، ولونٌ، ومذاقٌ، ورائحةٌ، وملمسٌ، وهيئةٌ مختلفةٌ كلَّ مرَّةٍ، وبالتَّالي يحقِّقُ هذا إبداعًا/ جمالاً جديدًا، ولأَنَّ هذا الشِّعرَ ليسَ شعرًا مسموعًا، بل هو شعرٌ مقروءٌ، يمنحُ القارئَ فُرَصَ التَّأويلِ، والتَّفكيكِ، وإِعادةِ التَّركيبِ، كمَا لو أَنَّهُ (القارئ) يعِيدُ كتابةَ القصيدةِ بأَدواتِه، ورُؤاهُ، ومخيلتهِ.

أَنَّى لهُ هذا ؟

* القصيدة رسالة مفتوحة للعالم، وأنت تكتب هل تُفكر في القارئ؟

- لأَنَّ القصيدةَ كما وصفتَها أَنتَ، ولأَنَّ الشَّاعرَ آناءَ كتابتِها يكونُ في عوالمَ مجهولةٍ وبلا وعيهِ، فإِنَّه بالتَّأْكيدِ لا يفكِّرُ بالقارئِ، وأَنَّى لهُ هذا وهو في حالتِه تلكَ؟

إِذَا فكَّرَ بالقارئِ وجعلَهُ في المسافةِ بين القلمِ والورقةِ، فإِنَّ القارئَ سيكونُ مرشِدَها وكاتبَها أَكثرَ من الشَّاعرِ ذاتِه، فكيفَ إِذا فكَّرَ الشَّاعرُ بأَكثرَ من قارئٍ، وأَكثرَ من مُتلقٍّ، فكيفَ تكونُ قصيدةَ شاعرِها؟! والمفترَضُ الإِبداعيُّ هوَ في أَن يكونَها؛ هي منهُ وهو مِنها.

هذه هي إِشكاليَّةٌ قديمةٌ- جديدةٌ؛ أَن يكونَ الشَّاعرُ صوتَ الآخرِ كما يُرادُ لهُ، لا صوتَه هوَ. هنا يَنتفِي التَّفرُّدُ الشَّخصيُّ، والإِبداعُ الذَّاتيُّ الذي يجبُ أَن يَخرجَ مُدهِشًا، ومُفاجِئًا، لا أَن يكونَ مُتوقَّعًا من متلقٍّ، أَو قارئٍ، أَو ناقدٍ، أَو أَيِّ مهتمٍّ بالشِّعرِ.

اللُّغةُ في الشِّعرِ

* قصيدة التفاصيل أو الاحتفال باليومي والمعيش في جغرافيات المتن الشعري المغربي المعاصر، هل أعطته بُعْدًا جماليًّا آخر خِصبًا وخلاقًا في آنٍ؟

- هذهِ القصيدةُ تراوحتْ بينَ الشِّعريِّ واللاَّشعريِّ؛ ثمَّة مَن كتبَها بلُغةِ الشِّعرِ التي نعرفُ، وآخرونَ كأنَّها نسخٌ، أو تصويرٌ (فوتغرافيٌّ) بكلماتٍ، معتمدًا على حاسَّةِ الرُّؤيةِ فقط، لذَا جاءتْ كلامًا عاديًّا، مباشَرًا، مخبِرًا، وهذا ما يجعلُها مجرَّدَ سردٍ، لا يفتحُ أَيَّ أُفقٍ للتَّأْويلِ، لأَنَّها لا تفعلُ أَكثرَ من أَن تُعِيدُ لكَ ما رأْتهُ عينٌ، وسجَّلتهُ يدٌ على الورقِ.

أَحيانًا تجدُها مجرَّدَ تدوينٍ للمشاعرِ، وهذا لا يُعطيها، أَيضًا، صفةَ الشِّعرِ، لأَنَّهُ "ليسَ مسأَلةَ مشاعرٍ، بل هوَ مسأَلةُ لغةٍ. الشِّعرُ لغةٌ تخلقُ المشاعرَ" (أَمبرتو إِيكو).

إِذًا، اللُّغةُ الشِّعريَّةُ يجبُ أَنْ لا تُنفَى منَ القصيدةِ مهمَا كانت موضوعةُ القصيدةِ، وإلاَّ ما الفارقُ الجوهريُّ بينَها وغيرِها من فنونِ الكتابةِ؟! كذلكَ الحالُ/ الفارقُ بينَ كتابةِ الشِّعرِ ونظمِه.

تجدُني، هنَا، أُركِّزُ على اللُّغةِ في الشِّعرِ، لأَنَّ "الشِّعرَ لغةٌ في أَزهَى صورِها. الشِّعرُ حليبُ نهدِ اللُّغةِ" (روبرت كراوفورد).

اسْتدرارٌ لحليبِ الأَملِ

* الشعر هو الفرصة الوحيدة للكائن المبدع لينصت لعزلته وطفولته ومكائده وانتصاراته وخساراته وأحلامه وآلامه، هل أعطتك القصيدة فعلاً هذه الفرصة الحقيقية للتأمل؟

- الشِّعرُ النَّابعُ/ الفائرُ/ الطَّافحُ منَ الذَّاتِ الشَّاعرةِ عَنها وعنِ الآخر (ثمَّةَ بالطَّبعِ أَكثرُ من آخر)، هوَ الشِّعرُ الصَّافي الذي يشعُّ ماؤهُ الفضِّيُّ من تجاربِ الشَّاعرِ وتجريبهِ ومغامراتهِ، وليسَ منَ اخْتلاقِ كتابةٍ، أَو تكليفٍ بهَا، أَو إِقحامٍ علَيها، لأَنَّ مصدرَ الشِّعرِ القلبُ المملوءُ بأَسبابِ الحياةِ/ الجَمالِ.

نَعم، هوَ فرصةٌ للشَّاعرِ كيْ ينصِتَ، كتابةً، لباطنهِ المدغُولِ بخصوصياتهِ وخصائصهِ وصراخهِ الهادئِ/ المتأَمِّلِ/ الحواسيِّ/ المشحونِ بزخمِ الرَّغبةِ إِلى إِثباتِ أَسئلةِ الحلمِ/ الوجودِ.

كلُّ كتابةٍ شعريَّةٍ ذاتيَّةٍ، هيَ اسْتدرارٌ لحليبِ الأَملِ من وَرْقَاءِ الرُّوحِ السَّابحةِ في مداراتِ الحرِّيَّةِ المتشاسعةِ كدوائرِ ماءِ القلبِ، بعدَ سقوطِ كتلةٍ منَ الأَلمِ في حضنهِ البرِّيِّ.

لقاءُ عاشقَيْنِ في قصيدةٍ

* يقول مالارميه: "القصيدة سرّ، وعلى القارئ أن يبحث عن مفتاح". هل للقصيدة أسرارها الخاصة مثل عاشقة في منتصف الغواية؟ وهل لا بدّ للقارئ العاشق أن يدخل أبوابها، ويبحث عن مفاتيح خاصة بها؟

– نعم.. هيَ القصيدةُ هكذَا، وهيَ سرٌّ شهيٌّ.. بهيٌّ.. نقيٌّ... لهُ مِفتاحٌ لاَ يتدلَّى من رقبتِها، لأَنَّها بعدَ الانتهاءِ مِنها، تَرميهِ فِيها، كما تُرمَى جوهرةٌ في إناءٍ لاَ حدودَ لهُ، وعلى القارئِ العاشقِ (هيَ عاشقةٌ تُتقِنُ غَوايَتها) أَن يطيرَ في فضائهِ بجناحينِ من رفيفِ القلبِ، ويسبحَ في مائهِ بمجذافينِ من تعبِ الحبِّ، لأَنَّ الشِّعرَ لقاءُ عاشقَيْنِ في قصيدةٍ.

تأَتي .. أَو ترحلُ سريعًا

* القصيدة امرأة غجرية مهذبة خائنة لجميع المواعيد المرتبة معها، كيف تلسع هذه الخيانة متخيلك بعد انتظار مخيب للأمل؟

- جميلٌ وصفُكَ القصيدةَ أَنَّها امرأَةٌ غجريَّةٌ مهذَّبةٌ، لكنَّها لا تخونُ مواعيدَها معَ شاعرِها. صَحيحٌ أَنَّها تأْتي بتوقيتِ موعدِها الَّذي تختارُه دونَ تنسيقٍ مُسبقٍ مع شاعرِها، لكنَّها تأْتي. المُهمُّ أَنَّ على الشَّاعرِ أَن يكونَ جاهزًا لاستقبالِها في أَيَّةِ لحظةٍ، على الأَقلِّ لاستقبالِ إِشراقتِها، وإِلاَّ فإِنَّها ترحلُ سريعًا إِنْ لم تجدْهُ، وهذا طبعُها الَّذي لا يستطيعُ أَيُّ شاعرٍ مبدعٍ أَن يُغيِّرَه.

أَستغربُ جدًّا من (شعراءَ) يكتبونَ الشِّعرَ (وما هوَ بشعرٍ في أَدنى مفاهيمِهِ) متى يُريدونَ! ليسَ تسجيلُ الإِشراقةِ قبلَ أُفولِها، بل يكتبونَ قصيدةً متَى شاؤوا، كأَنَّهم يأْكلونَ أَو يشربونَ! يجلِسونَ يكتبونَ في أَيِّ ظرفٍ زمانيٍّ، أَو مكانيٍّ، أَو حالةٍ، أَو...! والنَّتيجةُ معروفةٌ؛ هُم شُعراء لَهُمُ المكانةُ الاعتباريَّةُ (سلطةً ومجتمعًا) لأَنَّهم يتماشونَ معَ الذَّوقِ التَّقليديِّ للمُتلقِّينَ، ولا يُطوِّرونَ فيهِ، رغمَ أَنَّها إِحدى وظائفِ الشَّاعرِ، كما يُطالِبُ (أُوكتافيو باث): "على الشَّاعرِ أَن يَرتقيَ بلُغةِ القبيلةِ".

يقولُ (ابنُ قُتيبة) : "وقدْ رأَيتُ من علمائِنا مَن يَستجيدُ الشِّعرَ السَّخيفَ لِتقدُّمِ قائلِه ويضعُه في مُتخيَّرِهِ، ويرذلُ الشِّعرَ الرَّصينَ ولا عيبَ لهُ عندَه إِلاَّ أَنَّهُ قيلَ في زمانِه أَو أَنَّهُ رأَى قائلَهُ".

أنا أَحرقُ مخزنَ سَجائر في صدرِي، وأَسبحُ في بُحيرةِ قهوةٍ في مَعِدتي، من أَجلِ مقطعٍ شعريٍّ واحدٍ قد لا أَرضى عنهُ، وقد أَمحوهُ إِلى ما لا يُمكنُ استرجاعُه أَبدًا.

المرأَةُ / الأُنثى هي القصيدةُ

* كيف تتجلّى صورة المرأة في قصائدك؟

- أَعلى دَرجاتِ التَّجلِّي الشِّعريِّ أَن تكونَ المرأَةُ/ الأُنثى هيَ القَصيدة. في الكتابةِ الشِّعريَّةِ تكونُ هيَ في كلِّ شيءٍ؛ هيَ الحاضرةُ الوحيدةُ، حتَّى لو كانت كخلفيَّةٍ، أَو صورةٍ مائيَّةٍ، في القَصيدةِ.

تأْنيثُ القصيدةِ، أَو تأْنيثُ أَشيائِها، باتَ نمطًا/ ظاهرةً في شِعري، حيثُ أُحسُّ، دونَ عَمْدٍ، أَنَّني أَلجأُ إِلى تأْنيثِ الأَشياءِ لإِثراءِ مُحاورتِها، وفَتحِ مَغاليقِها الفاتنةِ، وإِشاعةِ الرُّوحِ الإِيقاعيَّةِ فيها، بوساطةِ لُغةِ الحواسِّ؛ اللُّغةِ الأَكثر لياقةً وأَلَقًا للشِّعرِ، والمرأَةُ/ الأُنثى- القصيدةُ هيَ أَكثرُ ما تليقُ بها لغةُ الشِّعرِ هذهِ.

كثيرًا ما نعرِفُ من الشُّعراءِ أَنَّ المرأَةَ في قَصائدِهم هيَ الأُمُّ، الزَّوجةُ، الأُختُ، الابنةُ، الحبيبةُ... الخ. كلُّ واحدةٍ من هذهِ

تدلُّ على دَورٍ لها في الحياةِ. في القَصيدةِ أَرى أَنَّ المرأَةَ/ الأُنثى، تكونُ في أَيِّ نصٍّ شِعريٍّ، ليسَ أَقلَّ من كَونِها حارِسةَ الجمالِ فيهِ، إنْ لَمْ تكُنِ القصيدةَ ذاتَها، لذَا أَعمدُ إلى أن يكونَ التَّأْنيثُ، حتَّى في الأَشياءِ، لأَرَاها خارجَ دَورِها العاديِّ في القصيدةِ/ الشِّعرِ.

إِثراءٌ جماليٌّ باهظٌ للشِّعرِ

* بين القصيدة والمرأة خيط غَوَايَةٍ، القصيدة استفادت من المرأة منذ القصيدة الجاهلية مرورًا بالشعر الأموي (الغزل العذري/ الغزل الحسي) حتى الشعر الحديث والشعريات العالمية والكونية. هل قراءة المرأة لقصيدة ممتعة، أو الاستماع لأمسية باذخة تعتبر استفادة عكسية للمرأة من القصيدة؟ وكيف تفسر هذا التجاور والتحاور الغريب والغني في آنٍ معًا؟

- كأَنِّي سمِعتُ الصَّرخةَ الشِّعريَّةَ الأُولى للشَّاعرِ الأَوَّل كانت عندَما رأَى المرأَةَ الأُولى بشاعريَّةِ النَّقصِ لدَيْهِ.

كأَنِّي رأَيتُه يخرجُ من كهفِه وهو يتأَبَّطُ الفراغَ، والعزلةَ، والحزنَ، وفي حلْقهِ الجافِّ يقفُ كلامٌ ليسَ كالكلامِ.

كأنِّي قرأْتُ خطواتِ أَصابعِه الشَّقيَّةِ على جدارِ الكهفِ وهي تحاولُ إِخراجَ نشيجِ الوَحدةِ من باطنِ نَفْسِها المتهالكةِ.

القصيدةُ لا تبحثُ عنِ الاستفادةِ منَ الأَشياءِ كيْ تكونَ قصيدةً. إِنَّها تَحكي الشَّيءَ بلُغتِها كما تَراهُ هيَ بشعريَّتِها، لذَا فإِنَّ الشَّيءَ هو المُستفِيدُ مِنها، والمرأَةُ كانتْ، وستَبقى، أَروعَ الأَشياءِ/ الكائناتِ، لهذا كانت لها الحصَّةُ الكُبرى في الشِّعرِ.

بالتأْكيدِ أَنَّ المرأَةَ تحبُّ جدًّا أَن يُقالَ فِيها الشِّعرُ، أَن تسمعَ الشِّعرَ الذي يكتَبُ عَنها ولَها وفِيها، لأَنَّهُ يَمنحُها طاقةَ جمالٍ استثنائيٍّ كلَّما رَاوَدتْهُ كلَّ مرَّةٍ، لذَا فإِنَّ تَماهي المرأَةِ في القصيدةِ، وتَماهي الشَّاعرِ في القصيدةِ المرأَةِ فيهِ إِثراءٌ جماليٌّ باهظٌ للشِّعرِ.

خيلٌ جموحةٌ بحنانٍ عارمٍ

* هل القصيدة عصية وعصبية دائمًا كامرأة متكبرة؟

- لو أَنَّ القصيدةَ كامرأَةٍ متكبِّرةٍ لَمَا أَحببناها وأَحرقنا رملَ ساعةِ وقتِنا من أَجلِها وسِرْنا عليهِ حفاةَ الرُّوحِ والقلبِ والبدنِ. هيَ عصيَّةٌ دائمًا، ليسَ في مطلعِها فقط، بل في كلِّها لغايةِ أَن يشعرَ الشَّاعرُ أَنَّهُ انتَهى هوَ منها لا هيَ، لكنَّها ليستْ عصبيَّةً، فلو

كانت هكذا، لَمَا أدركَها الشَّاعرُ، لأَنَّ الـشِّعرَ الإِبـداعيَّ لا يحتمـلُ النَّزقَ، أَو التَّوتُّرَ، أَو الضِّيقَ.

هي، في أَحدِ أَوصافِها، خيلٌ جموحةٌ بحنانٍ عارمٍ، تثيرُ شـهوةَ الـشَّاعرِ الحقيقـيِّ لترويـضِها، ذلـك أَنَّهـا تحـبُّ هـذا بـشغفٍ أُنثـى شبقةٍ لاحتواءِ تدلُّلِها في فضاءاتِها المُذهلةِ.

الشِّعرُ الإِبداعيُّ ضرورةٌ إِنسانيَّةٌ

* يقول الشاعر لويس أَراغون "لولا الشعر لأُصبنا جميعًـا... بالسكتة القلبية." أَليس العالم بدون شعر خراب وخواء؟

– إِنَّها مقولةٌ في غايةِ الـصَّوابِ والأَهميَّـةِ، لـيسَ لأَنَّنـي شـاعرٌ أَنحازُ إِليهـا، بـل لأَنَّ الـشِّعرَ الإِبـداعيَّ ضرورةٌ إِنـسانيَّةٌ، يُـضفِي على الحياةِ، بكلِّ مكوَّناتِها ومكنوناتِها، عَبَقًا من لذيذِ الضَّوءِ عـلى عتمتِها المُؤلمةِ بفعلِ أَيدينا البشريَّةِ. إِنَّهُ يصبغُ العـالمَ بـأَلوانِ الحـبِّ والعذوبةِ والرِّقَّةِ، وبكـلِّ مفـرداتِ معجـمِ الجـمالِ. كـمْ أَتمنَّـى أَن يَغـدو الـشِّعرُ وجبـةَ حـبٍّ يوميَّـةً للإِنـسانِ، لأَنَّـهُ كـما قـالَ (إِيـف بونفوا): "الشِّعرُ فعلٌ تتجدَّدُ بهِ العَلاقةُ بينَ الكلـماتِ والواقـعِ"، لعلَّها تنجحُ بتغييرهِ نحوَ الأَحلى، والأَشهى، والأَعلى.

الشَّاعرُ عاشقًا

* يقول الشاعر المكسيكي الراحل أوكتافيو باث: "الحب موقف بطولي وأعظم ابتكار للحضارة الإنسانية." كيف توظف نِعمة الحب لخدمة متخيل القصيدة لديك؟

- تَتواءمُ عبارةُ هذَا الشَّاعرِ (كمْ أُحبُّ شِعرَهُ!) معَ بيتِ شعرٍ للشَّاعرِ (نزار قبَّاني):

"الحبُّ في الأَرضِ بعضٌ من تخيُّلنا/ لو لم نَجدْهُ عليها لاَخْترعناهُ". وأَيضًا قالَ:

"لولا المحبَّةُ في جوانحهِ/ ما أَصبحَ الإِنسانُ إِنسانا".

هكذا همُ الشُّعراءُ المبدِعونَ الأَنيقونَ شعرًا؛ يتواءَمونَ ويتَّحِدونَ في الأَفكارِ الإِنسانيَّة النَّبيلةِ، مَهْما كانت جغرافيَّاتُهم، ومشاربُهم الثَّقافيَّةُ، ولونُ دمِ مِدادِهم.

لا شكَّ أَنَّ الحبَّ، بأَشكالِهِ ومضامينهِ المختلفةِ العُليا، نِعمةٌ إِلهيَّةٌ تجعلُ القلبَ جنَّةً مُشعَّةً بذاتِها، للآخرينَ ولها، وفضاءً ورديًّا فسيحًا، وفصلاً أَخضرَ دائمًا. دونَهُ؛ لا يكونُ الإنسانُ إِنسانًا، ولا الأَرضُ قادرةً على احتمالِهِ، ولا حتَّى كلُّ شيءٍ فيها وعَليها وعالِيها.

يقولُ الشَّاعرُ (لوركا): "لا يحتاجُ الشِّعرُ إلى مهنيِّينَ مَهرةٍ، بـل إلى عشَّاق". بالنِّسبةِ إليَّ؛ تعوَّدَ شِـعري أَنْ ينطلـقَ، منـذُ بـواكيرِهِ، من مُرتقَى القلبِ، حَبْوًا وحُبًّا، نحوَ الحياةِ كما أَشتهِيها أَن تكـونَ لنَا، نحنُ الإِنسانَ، وظلَّتْ هذهِ الحالةُ انطلاقَ كلِّ قصيدةٍ دائمًا.

بالحبِّ؛ أَحببتُ لُغتـي، ومِـدادي الأَزرقَ، ووَرقـي الأَصـفرَ، وتَعبِـي الكـلِّيَّ روحًـا وجسدًا، وقَلقـي الرَّصـينَ عـلى القـصيدةِ، فـأَحببتُني شـاعرًا. بهـذَا وغـيرِهِ، أَحببـتُ الحيـاةَ فـسحةً للجـمالِ، والإِنـسانَ ممارسًـا لإِنـسانيَّتِهِ، والكـونَ رائعًـا خلاَّبًـا مدهِـشًا، وباعثًا الحقيقـةَ. مـن هـذَا، لا أَحتمـلُ شـعرًا يـشتمُ، أَو يَهجُـو، أَو يلعنُ، أَو يَمدحُ كذبًا، أَو يَرثي سلبًا.

لمْ أَكتبِ الشِّعرَ إِلاَّ بعصيرِ القلبِ، وعلى أَشعَّةِ الرُّوحِ، أَرشـقُه بيـدِ الوَلَـهِ نحـوَ نافـذةِ الإِنـسانِ المُنفـتحِ القلـبِ كـيْ لاَ يَنـسى أَنَّـهُ إِنسانٌ طوالَ الوقتِ ما دامتِ الحياةُ فيهِ.

قوَّةٌ إِنشائيَّةٌ

* يقـول رينيـه شـار: "إننـا نخـضع أحـرارًا لـسطوة القـصائد ونحبها بعنف، هـذه الثنائيـة تمـدنا بـالقلق والكبريـاء والبهجـة."

هل هذا الحب العنيف هو ما يؤسس علاقتنا وصداقتنا بالحياة من خلال فعل اللغة؟

- الحبُّ الحقيقيُّ (العنيفُ برقَّتهِ المذهلةِ) يؤسِّسُ لكلِّ شيءٍ جميلٍ في الحياةِ، ويضيفُ إليهِ من عبقهِ وحلوهِ وبريقهِ لمساتٍ عذبةً شهيَّةً، ويستطيعُ ترويضَ الشَّراسةِ والعنفِ في الإنسانِ والطَّبيعةِ ما استطاعَ إلى هذَا سبيلاً. اللُّغةُ وسيلةٌ منَ الوسائلِ رغمَ عجزِها في أشياءَ كثيرةٍ كالحبِّ والشِّعرِ، لهذَا فالمبدعُ دائمُ القلقِ الإيجابيِّ، قليلُ القناعةِ، دائمُ البحثِ عنِ الاختلافِ والمغايرةِ، ومَا الحبُّ الجارفُ (العنيفُ) إلاَّ قوَّة إنشائيَّة تساعدُنا في اقتحامِ الحياةِ بالحرِّيَّةِ المعجونةِ بالنَّجاةِ منَ النَّجاةِ.

الخوفُ منَ الحقيقةِ العاريةِ

* رسائل الشعراء والمبدعين فيما بينهم كنز عظيم، وتراث إنساني عميق، لماذا تغيب عنا أدبيات جمع الرسائل ونشرها على غرار رسائل محمود درويش مع سميح القاسم، جبران خليل جبران مع ماري هاسكل، أو مي زيادة، غادة السمان مع غسان كنفاني، فرناندوا بيسوا مع حبيبته أوفيليا الخ...؟

- نحنُ أُمَّةٌ تخافُ الحقيقةَ العاريةَ غيرَ المُغطَاةِ بألف قشرةٍ وقشرةٍ، والبوحَ الإنسانيَّ الممزوجَ بالحبِّ العاطفيِّ الذي يدلُّ على حدائقِ الحياةِ المضيئةِ بالمشاعرِ النَّقيَّةِ، لذَا تذهبُ الكثيرُ من هذهِ الرَّسائلِ (أُسمِّيها: أَدب القلبِ) بينَ المبدعينَ العربِ أَدراجَ الخوفِ والضَّياعِ، خصوصًا رسائل المبدعاتِ العربيَّاتِ.

ما ظهرَ من رسائلِ الكاتبةِ العربيَّةِ لمْ يكنْ فيها بوحٌ عاطفيٌّ واضحٌ، يكشِفُ المشاعرَ الوجدانيَّةَ الحقيقيَّةَ، ومعظمُ ما ظهرَ، فقط، رسائلُ الكاتبِ الرَّجلِ، أَمثال غسَّان كنفاني (لماذا لمْ تكشِفْ غادة السَّمان عن رسائِلها لهُ؟)، وأَنور المعدَّاوي (لماذا طَلبتِ الشَّاعرةُ فدوى طوقان منهُ أَن يحرقَ رسائلَها؟). لا بدَّ وأَنَّهُ في رسائلِ الكاتبةِ المرأَةِ كشفُ حالٍ لها، لا يقبَلهُ المجتمعُ المريضُ بالانفصامِ، وبالتَّالي فيها ما يصيبُ مكانتَها الاجتماعيَّةَ والاعتباريَّةَ.

أَيضًا، المرأَةُ العربيَّةُ العاديَّةُ، في جميعِ مراحلِ عُمرِها، تخافُ من كشفِ مشاعرِها، قولاً وكتابةً، وتشعرُ أَنَّ بانكشافِ عواطِفِها الصَّادقةِ هتكٌ لسَترِها الذي يفرضُه المجتمعُ العاريُّ من العدلِ، المُنتفخُ منَ الفحولةِ، لا الذُّكورةِ الطبيعيَّةِ كما هي

الأُنوثةُ. باعتقادِي، فإِنَّ هذا النَّوعَ من الكتابةِ بين المبدعينِ منَ الجنسينِ، فيهِ منَ الإِثراءِ الذي يساهمُ في سبرِ أَعماقِ إِبداعهِم، لأَنَّ الكتابةَ الإِبداعيَّةَ فيها من الحُلمِ والرُّؤى والاستعارةِ والتَّأْويلِ والمُناورةِ... الخ، بينَما كثيرًا ما نجدُ في قراءةِ الرَّسائلِ لغةً عاشقةً بَوْحيَّةً طبيعيَّةً، ذاتَ مذاقٍ مُذهلٍ وحميميٍّ، كأَنَّهُ النَّدى على أَوراقِ الوردِ.

الحبُّ أَقوَى من الكتابةِ فيُعجِزها

* دَمُ الشعراء مُشترك رغم اختلاف القارات وتنوع الأراضي الشعرية، كيف تلقيت فاجعة رحيل محمود درويش، وكيف كانت علاقتك معه؟

- تلقَّيتُها كما لَو أَنَّ جِداريَّةً سَقطتْ على رَأْسي! ولم أَعرفْ، لغايةِ الآنَ، أَن أَكتبَ شيئًا عنهُ/ عَنها! هلِ الحبُّ أَقوى من الكتابةِ فيُعجِزها؟! أَم أَنَّ الصَّمتَ أَنقَى لغةً في مثلِ هذَا المقامِ؟!

لم تكنْ عَلاقةٌ بَينَنا، ولمْ أَرَهُ شخصيًّا سِوى لبضعِ مرَّاتٍ؛ ثمَّة مرَّتانِ رأَيتُهما فيهِ هُنا يَشدُو من أَشعارِه، ومرَّتانِ الأُولى حينَ التقيناهُ ثلَّةٌ منَ المثقَّفينَ بعدَ عودتهِ إِلى ما تبقَّى (ولمْ يزلْ يُقضَمُ)

من هذا الوطنِ، والثَّانيةُ كانت حينَ عقدَ بيتُ الشِّعرِ في فِلَسطينَ المهرجانَ الشِّعريَّ الأَوَّلَ واليتيمَ سنةَ (٢٠٠٠) مواكبًا، صُدفةً، بدايةَ انتفاضةِ الأَقصى.

لا شكَّ أَنَّ غيابَ الشُّعراءِ قاسٍ جدًّا، لأَنَّهُ يُوقِفُ تدفُّقَ نَهرِ شعرِ الشَّاعرِ، لكنْ يَبقى الأَثرُ الَّذي لا يَمَّحي، وفي هذَا عزاءٌ بَاهٍ، وتحريضٌ شرسٌ على الغرقِ أَعمقَ وأَعمقَ في حِرْفةِ الجنونِ الجميلِ.

لغةٌ واحدةٌ للشِّعرِ

* ترجمة الشعر، هل هي خيانة أنيقة للنص الأصلي، أم ترويض اللغة بدُربة المترجم(ة) للبحث عن ضيافة متخيل آخر يُغني حركية الإبداع الإنساني، ويفتح آفاق اشتغاله على كينونة لغة بلا حدود ولا تُخوم تستهدي بنور البصرَ والبَصيرة تمنحها الذاكرة لروح الكلمات والنصوص؟

- ترجمةُ الشِّعرِ، ومن خلالِ مُمارستي لها، لمْ أَجدْ أَنَّ المقولةَ الإِيطاليَّةَ: "ترجمةُ الشِّعرِ خيانةٌ"، تُعبِّرُ جيِّدًا عن هذهِ الممارسةِ بهذهِ الصِّفةِ، إِذ أَينَ تكمنُ "الخيانةُ" طالَمَا أَنَّ الإِبداعَ الشِّعريَّ،

بالـضَّرورةِ، يجـبُ أَنْ يكـونَ عالميًّـا، بِمعنـى أَنَّـهُ فعـلٌ إِنـسانيٌّ للإِنسانِ، أَينما وُجِدَ على هذهِ الكرةِ المائيَّةِ (ثلاثةُ أَرباعِها ماءٌ).

هل يمكنُ تغييرُ العبـارةِ إِلى مـا كنـتُ قلتُـه ذاتَ يـومٍ: "ترجمةُ الشِّعرِ إِعادةُ خلقٍ آخرُ لهُ"، خصوصًا إِذا أَنجزهُ شاعرٌ؟

لكنْ، ولأَنَّ للإِنسانِ أَكثرَ مـن لغـةٍ، كـانَ لا بـدَّ مـنَ التَّرجمـةِ، رغمَ عدمِ قُدرتِها الكاملـةِ عـلى توصيـلِ اللُّغـةِ الأُولى إِلى أَيَّـةِ لغـةٍ أُخرى، فكيفَ الحالةُ في ترجمةِ الشِّعرِ الـذي يُبنـى عـلى التَّراكيـبِ اللُّغويةِ للُّغةِ الأَصلِ، والصُّورِ السِّرياليَّةِ التي ترسُـمها الحـواسُّ، وحتَّى ما بعدَ الحواسِّ؟

أَميلُ كثـيرًا إِلى مقولـةِ الـشَّاعرِ محمَّـد بنِّيس: "مـنَ البداهـةِ أَنَّ ترجمةَ الشِّعرِ شبهُ مستحيلةٍ، ولكنْ هنـاكَ درجـاتٍ للاسـتحالةِ." ولأَنَّـهُ لا بـدَّ مـنَ التَّرجمـةِ، كـانَ لا بـدَّ لنَـا أَنْ نُـمارسَ درجـةً مـنْ درجاتِ الاستحالةِ، لأَنَّـهُ لا يُمكِننـا جميعًـا أَن نقـرأَ الـشِّعرَ بلُغتـهِ الأُمِّ، والأَهـمُّ من هذَا وغـيرِهِ، أَنَّنـا نحتـاجُ الـشِّعرَ ، لأَنَّـهُ ضرورةٌ لمنْ يُدركُ أَنَّهُ أَكثرُ الفنونِ تأْثيرًا في صياغةِ جماليَّةِ إِنسانيَّةِ الإِنسانِ.

تقِيمُ ترجمةُ الشِّعرِ حوارًا صامتًا، شيِّقًا وعذبًا، ثريًّا ومهمًّا، بينَ الـشَّاعرِ والمـترجمِ الـشَّاعرِ أَوَّلاً، وبـينَ الأَخـيرِ وشـعراءَ آخـرينَ

يقرَؤونَ بلغةِ المترجمِ ثانيًا، وليسَ ثالثًا حينَ تُعمَّمُ نشرًا بوسائلِ النَّشرِ المختلفةِ.

ما شدَّني برغبةٍ عاليةٍ إلى ترجمةِ الشِّعرِ، بعدَ قراءتهِ بلُغتهِ الأُولى (كانَ بإمكاني أَنْ أَكتفي بهذا الإشباعِ)، هوَ شُعوري بالإِبداعِ أَثناءَ التَّرجمةِ بأَنَّني أَنا الَّذي أُكتبُه، حيثُ تتخلَّقُ القصيدةُ بلُغتي العربيَّةِ، وكما لَو أَنَّني أُعِيدُ تبييضَها عن مسوَّدتِها. هذهِ لذَّةُ إِبداعٍ أَراها، وإِنْ كانت بدرجةٍ أَقلَّ من كتابةِ قَصيدتي الخاصَّةِ بِي.

كمْ تمنَّيتُ، وأَنَا أُترجمُ شعرًا، وحيثُ أَكتبُهُ، أَنْ تكونَ للشِّعرِ، بالذَّاتِ، لغةٌ واحدةٌ يكتبُ بها كلُّ الشُّعراءِ. أَليسَ بهذا نبرئُ مترجمَ الشِّعرِ منْ تُهمةِ "الخيانةِ"، وإِن كانتْ "خيانةً أَنيقةً للنصِّ"، كما تقولُها يا صَديقي الجَميل؟ وأَيضًا، كمْ أَرى أَنَّ لغةً واحدةً للشِّعرِ، تَجعلُه كونيًّا، ودونَ الانتقاصِ، بشكلٍ أَو بآخرَ، منْ قيمتهِ الجماليَّةِ أَوَّلاً؛ ذلكَ الانتقاصُ الَّذي يمسُّهُ بشيءٍ منَ السُّوءِ، وحتَّى تتحقَّقَ هذهِ الأُمنيةُ (لغةٌ واحدةٌ للشِّعرِ)، فلنْ نكفُّ عن هذهِ الغَوايةِ، رغمَ تلكَ "التُّهمةِ" التي لا بدَّ منَ اقترافِها مع سَبقِ العنادِ والتَّودُّدِ!

الطَّبيعةُ وقلقُ الإِنسانِ المُعاصرِ

* أهديت بمحبة صافية ترجمة بديعة للمكتبة العربية، لماذا همس العشب ثانية؟ مختارات شعرية من "مشاهدة النار" للشاعر كريستوفر ميريل. لماذا هذا الاختيار بالتدقيق؟هل هناك تجاذب شعري قبلي لعالمه الإبداعي؟ وهل منحتك هذه المصاحبة ما يكفي للتجسس على رؤية هذا الشاعر للقصيدة والكتابة؟

- كانَ لِقائي البَصريُّ بشعرِ (كريستوفر ميريل) صُدفةً، فلمْ أَكنْ قرأْتُ لهُ، أَو سمعتُ عنهُ، قبلَ أَن تقعَ بينَ يديَّ مجموعتُه الشِّعريَّةُ "مشاهدةُ النَّارِ" بالإِنجليزيَّةِ، والتي احتوتْ على مختاراتٍ شعريَّةٍ من مجموعاتِه "كرَّاسةٌ"، و"حمَّى ومدٌّ"، و"حظٌّ".

تصفَّحتُ المجموعةَ، وقرأْتُ مِنها شذراتٍ غير منتظَمةٍ، فلفتَتْ انتباهيَ كثيرًا، واكتشفتُ أَنَّ شعرَهُ يتراوحُ بينَ تناولِ موادِّ الطَّبيعةِ لعالَمِهِ الشِّعريِّ والإِنسانِ المعاصرِ القَلقِ جدًّا على نفْسهِ، وعلى كلِّ شيءٍ حولَه. إِنَّها أَشعارٌ ثريَّةٌ بالرُّؤيا لُغةً بلاغيَّةً، من خلالِ عُبورِها للحياةِ الطبيعيَّةِ والإِنسانيَّةِ الآنَ. إِنَّها تشتغلُ

على الذَّاكرةِ الأُولى لهُ طفلاً كانَ، واستمرارًا حقيقيًّا ومتخيَّلاً، شخصًا وعالمًا، مع فائضٍ من أَسئلةِ الشِّعرِ التي لا جوابَ لها لدَى الشَّاعرِ.

لمْ تكُنْ في نيَّتِي التَّرجمةُ بعدَ القراءةِ الأُولى، أَمَّا بعدَ القراءةِ الثَّانيةِ الأَعمق، خطرتْ ببالي أَن أَنقلَ شيئًا من تجربةِ هذا الشَّاعرِ إِلى اللُّغةِ العربيَّةِ، لأَنَّني وجدتُها تستحقُّ الاطِّلاعَ عليها؛ فهيَ تجربةٌ شعريَّةٌ جديدةٌ، لها منابعُها الخاصَّةُ بِها، وأُسلوبُها البلاغيُّ، واقتراحاتُها الشِّعريَّةُ الحديثةُ تَعنِي التَّميُّزَ والتَّفرُّدَ، كما هوَ الواجبُ الإِبداعيُّ المأْمولُ من أَيِّ شاعرٍ .

"كيفَ ابتَسمتْ شواهدُ القبورِ!

والغيومُ مثلَ أَزهارٍ،

استقرَّتْ فوقَ الأَشجارِ

بترتيباتٍ رماديَّةٍ،

عندَما اختبأْتُ فوقَ التلَّةِ

كيْ أُشاهِدَ جنازَتي."

(من قصيدةِ: "حكايةٌ خرَّافيَّةٌ" لميريل)

أُمَّة (اقْرَأْ) لا تَقرأُ

* لشساعة متخيل الشاعر الأمريكي كريستوفر ميريل، ترجمت أعماله الشعرية لـ ٢٨ لغة، كيف تلقى القارئ العربي الترجمة العربية التي أنجزتها؟

– لمْ أَرَ اهتمامًا عربيًّا، حتَّى لدَى المثقَّفينَ المهتمِّينَ، فأَحكي عنهُ، ربَّما بسببِ ضيقِ قَنواتِ التَّوصيلِ من هُنا إلى السَّاحاتِ الثَّقافيَّةِ النَّحيلةِ، حدَّ الفجيعةِ، في العالمِ العربيِّ، وربَّما لأَنَّهُ شعرٌ، وأَنتَ تعرِفُ أَينَ وصلَ الاهتمامُ بالشِّعرِ لَدى أُمَّةِ الشِّعرِ (الشِّعرُ ديوانُ العربِ)! وتعرِفُ، أَيضًا، أَنَّ أُمَّةَ (اقْرَأْ) لا تقرأُ.

لا بأْسَ.. هذا جزءٌ كبيرٌ من الإِحباطِ الشَّخصيِّ والعُموميِّ للشُّعراءِ، لكنْ ثمَّةَ عَزاء لنَا في مقولةِ (لويز جليك): "لمْ أَكنْ يومًا ممَّنْ يشعرونَ بضرورةِ توسيعِ قاعدةِ قرَّاءِ الشِّعرِ، فأَنا أَشعرُ أَنَّ مَن يحتاجونَ الشِّعرَ يجدونَه".

للحيادِ درجاتٌ متفاوتةٌ

* في ترجمة الشعر ليس هناك حياد تام للذات الشاعرة في توجيه بوصلة النص الشعري المترجَم، ما رأيك؟

- ليستِ التَّرجمةُ مرآةً تعكسُ كلَّ مَا في النَّصِّ الشعريِّ لأَنَّ التَّرجمةَ تحوُّلٌ من لُغةٍ إِلى أُخرى، كذلكَ لكلِّ لُغةٍ منَ اللُّغتينِ صفاتُها الخاصَّة، وبنيتُها التَّوليديَّةُ، وحياتُها الكائنيَّة، ومقاصدُ مَعانيها وتفسيراتُها... الخ.

هذا بعضُ مَا يتعلَّقُ باللُّغتينِ، لكنْ هناكَ الجوانبُ المختلفةُ المكوِّنةُ للمُترجمِ، وهنا أَعني تحديدًا المُترجمَ الشَّاعرَ اسْتنادًا إِلى ما وردَ في سؤالِكَ (الذَّات الشَّاعرة)، وتفضِيلي أَن يكونَ مترجمُ الشِّعرِ شاعرًا؛ ليسَ بدءًا من ذوقهِ الذَّاتيِّ وميلهِ إِلى نصٍّ مَا، وليسَ انتهاءً بإِتقانهِ، مَا اسْتطاعَ من كلِّ ما يلزمُ، النَّصَّ المُترجَمَ.

مَسأَلةُ الحيادِ وعدمهِ، أَو شيءٍ منهُ تعودُ للمترجمِ ذاتهِ، فللحيادِ درجاتٌ متفاوتةٌ، وحتَّى لَو قارنَ مُتمكِّنٌ منَ اللُّغتينِ، والتَّمكينُ أَيضًا مسأَلةٌ نسبيةٌ، لوجدَ أَنَّ مسأَلةَ الحيادِ علَيها كلامٌ حسبَ رؤيتهِ.

لكنْ بالضَّرورةِ أَن يعملَ المترجمُ ما أَمكنهُ من تقريبِ النَّصِّ الشِّعريِّ بلُغتهِ الأَصلِ إِلى النَّصِّ الشِّعريِّ باللُّغةِ المترجَمِ إِليها (لاَ أَعني الحَرفيَّةَ وإِن هيَ شبهُ مهمَّةٍ)، لأَنَّ الموضوعَ لا يَعني الأَصلَ والصُّورةَ.

أُحبُّ أَن أُترجمَ نصوصًا شعريَّةً مكتوبةً باللُّغةِ الإِنجليزيةِ إِلى اللُّغةِ العربيَّةِ، وليسَ العكسُ، لأَنَّ العربيَّةَ ثريَّةٌ جدًّا بأَكثرَ من مَعنى للكلمةِ الواحدةِ، حدَّ التَّضادِ أَحيانًا، وهذَا الثَّراءُ يوفِّرُ الكثيرَ للمترجمِ.

بالنِّسبةِ إِليَّ، فأَنا أَختارُ الكلمةَ الأَقربَ إِلى الشِّعرِ من جُملةِ المَعاني. هل هذَا يفسِّرُ عدمَ الحيادِ التَّامِّ؟ ربَّما، لكنِّي أَجدُ أَنَّ هذَا هوَ الأَفضلُ في ترجمةِ الشِّعرِ إِلى اللُّغةِ العربيَّةِ.

ليسَ شعرًا خارجَ السِّياقِ الشِّعريِّ

* هل القضية الفلسطينية كانت نِعمة أم نقمة على خريطة الشعر الفلسطيني، وكيف تفسرون ذلك؟

- حساسيةُ الشَّاعرِ الحقيقيِّ الممزوجةُ بحواسِّهِ جِدُّ متأَثِّرةٍ بالقضايا الهامشيَّةِ، فكيفَ الحالُ بالقضايا المفصليَّةِ؟

ثمَّةَ نظرةٌ خاطئةٌ إِلى الشِّعرِ الفلسطينيِّ على اعتبارِ أَنَّهُ شعرٌ خارجَ السِّياقِ الشِّعريِّ العربيِّ، أَو الشِّعرِ عُمومًا. هذهِ النَّظرةُ حَصرتْهُ/ حاصَرتْهُ في أَتونِ السِّياسةِ قبلَ أَيِّ شيءٍ، لهذا كانَ مطالَبًا، دائمًا، بتقديمِ خطابِه الوطنيِّ/ الثَّوريِّ/ التَّحريضيِّ/

...، دونَ الاهـتمامِ حتَّـى بـأَدنى درجـةٍ مـن درجـاتِ جماليَّـاتِ الشِّعرِ، وكأَنَّهُ شعرٌ مغفورٌ ذَنْبُهُ الإِبداعيُّ، طالَمَا أَنَّـهُ يطلـعُ علينَـا من قضيَّةٍ مقدَّسةٍ، وأَرضٍ أَقدَس.

لم أَكنْ، منذُ ما بعدَ بدايةِ مشواري الشِّعريِّ، أَنظرُ إِلى صكِّ الغفرانِ هذا، بالنِّسبةِ إِليَّ، على أَنَّه جوازُ سفرٍ لانتهاكِ فنيَّةِ الشِّعرِ، وشرودِه في الآفاقِ، فهذا ضدُّ حقيقةِ الجمالِ وضدُّ جمالِ الحقيقةِ.

بعدَ زلازلِ (اتِّفاقاتِ أُوسْلو)، والتي هزَّتِ الضَّميرَ الحيَّ، أَصبحَ الشَّاعرُ يكتبُ ذاتَهُ (كانَ ثمَّةَ انتصارٌ للسِّياسيِّ على الثَّقافيِّ، لأَنَّ الأخيرَ يشتغلُ على الحلمِ، بينما السِّياسيُّ يشتغلُ على المُتاحِ)، بعدَ أَنْ لم يستطعْ هذا بسببِ القضيَّةِ الوطنيَّةِ، على اعتبارِ أَنَّ الشِّعرَ الذَّاتيَّ لا يليقُ مع الوضعِ الفلسطينيِّ، لكنَّ الذي كنتُ أَدعو إِليهِ، منذُ ما قبلَ الانتفاضةِ الأُولى، هوَ أَنَّ على الشَّاعرِ أَن يكتبَ ذاتَه؛ أَيْ أَن يكتبَ ما تُمليهِ الذَّاتُ الشِّعريَّةُ/ الأَنا الشَّاعرةُ، مهما كانتِ الموضوعةُ.

لقدْ بدأَ كثيرٌ من الشُّعراءِ الفلسطينيِّينَ هذه الكتابةَ، بشراسةٍ، بعدَ انهيارِ الحلمِ الفلسطينيِّ، وحتَّى الجزئيِّ منهُ، لكنَّها جاءتْ في

معظمِها بصورةٍ دماريَّةٍ/ سلبيَّةٍ/ يائسةٍ/ ...، وبرزَ هذا أَكثرَ في الجيلِ الشِّعريِّ الجديدِ الذي تلانَا (أَرفضُ مفهومَ المجايلةِ في الإبداعِ، لكنْ لضرورةِ التَّوضيحِ لا أكثر)، الذي تحطَّمتْ أَمواجُ آمالِه على صخرةِ الاتِّفاقِ/ الخديعةِ، فصارَ الشُّعراءُ الجددُ يكتبونَ النُّصوصَ الشَّخصيَّةَ، والإِيروسيَّةَ، والمتشظِّيةَ، والمتشائمةَ، والمهزومةَ، والكافكاويَّةَ، والسِّيزيفيَّةَ...، بدرجاتٍ جماليَّةٍ متفاوتةٍ.

لقد جاءَ التَّأْثيرُ عمومًا على الذَّاتِ الشِّعريَّةِ الخاصَّةِ قاتلاً، في حينِ أَنَّهُ كانَ على الشُّعراءِ إِيقاظَ حساسيةِ الانتباهةِ لدَيهم، لأَنَّ الشِّعرَ تحريضٌ فاحشٌ على الجمالِ/ الحقيقةِ/ المكاشفةِ/ الأَسئلةِ/ ...، ذلكَ أَنَّهُ "مساءلةٌ للماهيةِ، لا تعبيرٌ عَنها" كما قالَ (مارك دوتي).

الشِّعرُ والخبزُ والسُّلطانُ

* يقول الشاعر الراحل نزار قباني في قصيدة "ماذا فعل العرب بالشعر؟" المنشورة بمجلة الناقد، العدد ٢٦، غشت ١٩٩٠، ص١٤:

"ماذا فعل العرب بشعرائهم الرائعين

الذين اخترعوا تاريخ السنبلة

وأبجدية المطر؟"

هل الوضع الاعتباري للشاعر في مجتمعاتنا العربية ممكن؟

- قبلَ بضعةِ أيَّامٍ، سمعتُ معلِّقَ مباراةِ كرةِ قدمٍ، في دولةٍ عربيَّةٍ، يقولُ: إنَّ الحضورَ تجاوزَ خمسينَ ألفَ حاضرٍ، عدَا عنِ الَّذين يشاهدونَ المباراةِ عبرَ شاشاتِ التَّلفازِ! وفي أُمسيةٍ لشاعرٍ مشهورٍ وذي حضورٍ، كانَ الحضورُ (لا داعيَ لذِكْرِ العددِ!). هل تَكفي هاتانِ الواقعتانِ ردًّا على سؤالِكَ؟

إنَّ الشِّعرَ وحدَهُ، مهمَا بلغتْ درجةُ الإبداعِ فيهِ، لا يصنعُ لشاعرِهِ وضعًا اعْتباريًّا يليقُ بشعرِهِ قبلَ شخصِهِ، لأنَّهُ حتَّى الأحجارَ الكريمةَ، تريدُ يدًا عارفةً بها لاستخراجِها. هل كانَ يكفِي شعرُ أَبينا (أَبي الطَّيبِ المُتنبِّي)، كي يكونَ لهُ اعتبارٌ يليقُ بِهِ شاعرًا؟ لقد كانَ في زمنهِ، كما قرأْتُ، أكثرُ من ألفِ شاعرٍ، فلماذا هوَ بالذَّاتِ، كانَ لهُ وضعٌ اعتباريٌّ أكثرَ بكثيرٍ جدًّا من غيرِه؟ قِسْ عليهِ شعراءَ آخرينَ معدودينَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

ثمَّةَ شعراءُ كثيرونَ، مبدعونَ ومهمّونَ جدًّا في عصرِنا، ما يزالونَ يشتغلونَ لأَجلِ كفافِ يومِهم، وكمْ يكونُ هذا على حسابِ إبداعهِم الذي لا ينتظرُ حينَ يأْتي! وثمَّة (شعراءُ) يتَّخذونَ منَ الشِّعرِ مطيَّةً لنَوايا شخصيَّةٍ مريضةٍ، كأَنَّها الضَّحكُ حتَّى على ذُقونِ الشُّهداء.

لأَجلِ أَن يكونَ لكَ وضعٌ اعتباريٌّ، بل وماديٌّ أَيضًا، عليكَ أَن تقبلَ أَن تكونَ في حضنِ سلطانٍ ما، وإذا أَردتَ أَن يعرفكَ النَّاسُ شاعرًا، دونَ وضعٍ اعتباريٍّ، فما عليكَ إلاَّ بالشَّغبِ العَالي الجميلِ!

مَن يُريدهما سوفَ يجدُهما

* زمن الشعر أم زمن الرواية، جدال مَرّ ذات خريفٍ عابسٍ، وترك رماده لطائر الفنيق، موقفك من هذا الرأي؟

- لا هذا ولا ذاكَ، فلا زمنَ للشِّعرِ، ولا زمنَ للرِّوايةِ، أَو أَيِّ فنٍّ جماليٍّ. مَن يريدُ الشِّعرَ فسوفَ يَجدهُ، ومَن يريدُ الرِّوايةَ فسوفَ يَجدُها.

الجدلُ العابرُ الذي كانَ، ومالَ إِلى الرِّوايةِ، كـان بسببِ غُربـةِ الشِّعرِ الإِبداعيِّ عن عدمِ مُحاولـةِ قرَّائـهِ قراءتـهُ قـراءةً مختلفـةً عـمَّا أَلَفِ من أُسلوبٍ، وكذلك لِكثرةِ مُدَّعي الشِّعرِ، كما هو الحـالُ في الغِناءِ اليومَ؛ ثمَّةَ استسهالٌ فيـهِ، بـل وفي جميـعِ الفنـونِ الأُخـرى، وهذا انعكسَ سلبًا على الذَّائقةِ الشَّخصيَّةِ والجمعيَّةِ في آنٍ.

تقولُ (روزانا وارن): "الشِّعرُ إعادةُ تعريفٍ متواصلةٌ للجمالِ والحقيقةِ. الشِّعرُ هجومٌ كاسحٌ على جمالِ الأَمسِ الذي لم يعـدْ لـه بريقٌ، وحقيقةِ الأَمسِ التي لمْ تعدِ اليومَ إلاَّ كذبةً."

رسالةٌ من الإِنسانِ إِلى الإِنسانِ

* حركة الشعر العربي في الخليج، هل هـي امتـداد للحركـات الـشعرية العالميـة بـما فيهـا المشرقية والمغربيـة وغيرهـا، أم نحتـت لنفـسها خريطـة شـعرية مغـايرة احتفـت بالعـالم الجـواني للـذات الشاعرة ومعطيات الخارج؟

- لا يَنتمِي الشِّعرُ (ولا يَقبـلُ)، وكافَّـةُ الفُنـونِ الإِبداعيَّـةِ، إِلى جَغرافيَا، أَو جِنسيَّةٍ، أَو قَبَليَّـةٍ... الـخ، لأَنَّـهُ رِسـالةٌ مـنَ الـشَّاعرِ الإِنسانِ (دونَ زمانٍ ومكانٍ) إِلى الإِنسانِ في كلِّ العالَمِ.

لقد كنتُ كتبتُ في دراسةٍ/ مُحاضَرةٍ عنوانُها "الشِّعرُ لحوارِ بينَ الحضاراتِ": "الشِّعْرُ بِوَصْفِهِ رِسَالَةً كَوْنِيَّةً تُؤَكِّدُ عَلَى اللَّهْفَةِ الشَّامِلَةِ، وَتُسَاهِمُ فِي صِيَاغَةِ التَّوَاصُلِ الْعَالَمِيِّ لِصَالِحِ تَشَابُكَاتِ اللَّحْظَةِ، فَقَصِيدَةٌ لِشَاعِرٍ مِنْ أَيِّ جُزْءٍ فِي الْكَوْنِ، تُحَرِّكُ مَشَاعِرَ الْبَشَرِ كَجِسْرِ حِوَارٍ دَاخِلِيٍّ تَضَامُنِيٍّ عَالِي الْقِيمَةِ، بِطَرِيقَةٍ تَمْزِجُ بَيْنَ الذَّاتِيِّ، وَالْمَوْضُوعِيِّ، وَالشُّمُولِيِّ، أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ قَرَارَاتِ الْمُنْتَدَيَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ، عَلَى أَهَمِيَّةِ اللَّحْظَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ الرَّاهِنَةِ وَخُصُوصِيَّتِهَا".

لهذا؛ أرى أَنَّ حركةَ الشِّعرِ في الخليجِ (نقولُ الخليجَ مجازًا) ، لَيستْ مفصُولةً عن حركةِ الشِّعرِ العربيِّ في مَغربِه ومَشرقِه، وبالتَّالي عن حركةِ الشِّعرِ العالميِّ أَوَّلاً، وثانيًا رأَيتُ، وأرى، أَنَّ هذهِ الحركةَ، قَولاً وفِعلاً، قد تطوَّرتْ حداثةً بها يتساوقُ والحركةُ الشِّعريَّةُ العالميَّةُ، من حيثُ ضَرورة التَّجديدِ النَّابعِ من كتابةِ الذَّاتِ بالذَّاتِ منَ الدَّاخلِ، وكتابةِ الخارجِ، أَيضًا، من الذَّاتِ نفسِها، تحقيقًا لمقولةِ (تشيسلاف ميوش) : "الشِّعرُ قِسمةٌ بينَ ما أَنتَ تعرفهُ وما أَنتَ إِيَّاهُ"، لأَنَّ هذهِ الكتابةَ هيَ الأَصدقُ والأَجملُ والأَنقى، وصُولاً إِلى أَحقِّيَّةِ الحقيقةِ العادلةِ الجميلةِ.

شجرةٌ موصولةٌ ومستقلَّةٌ بذاتِها في آنٍ

* قصيدة النثر قصيدة مشاكسة ومشاغبة، سببت في حروب إبداعية جميلة متعددة، بين ما هو مناصر ومعارض ومتفرج، كيف تنظرون لهذه الحروب الإبداعية الفاتنة بين إثبات الشرعية وجدل الأسئلة غالبًا ما يُتخذ كتاب سوزان برنار(قصيدة النثر من بودلير إلى الآن) كمرجع ثابت مقدس، ألا ترى بأن المهم هو البحث عن خصوصيات قصيدة النثر العربية وآفاق اشتغالها، ورؤيتها للذات والإنسان والعالم، أي في علاقتها بالعوالم الجوانية للمبدع، وسر انتشارها السريع والفادح؟

- أبدأُ من الاسمِ الذي أُطلِقَ علَيها وهوَ "قصيدةُ النَّثرِ"، والحقيقةُ التي رَآها صديقي الشَّاعرُ والنَّاقدُ شربل داغر (الذي قدَّمَ كتابَنا "الإِشراقةُ المُجنَّحَة")، أَنَّ ترجمةَ الاسمِ عن الفرنسيَّةِ، باعتبارِ مَصدرِها هناكَ، هو "القصيدةُ بالنَّثرِ". لقد قرأْتُ الكثيرَ عن السِّجالاتِ التي دارتْ بينَ الشُّعراءِ والنُّقَّادِ وغيرِهم، وإِنْ أُلخِّصها، فإِنَّني أُلخِّصها بالاختلافِ على التَّسميةِ/ المصطلحِ.

أَلَمْ تَنْتهِ تلكَ السِّجالاتُ (الخصوماتُ/ التَّافراتُ/ التَّقارباتُ/ التَّباعداتُ/ ...) بعدُ، حتَّى وإِن هيَ أَنيقةٌ كما تصفُها؟ مرَّاتٍ

تُظهِرُ الأَناقةُ شراستَها مع هالةٍ من الكبرياءِ، فَتسُوقُنا إلى بشاعةِ اللَّهوِ بمسائلَ غيرِ مُجديةٍ، إن لمْ تكنْ مُجدِبةً أَصلاً!

ثمَّة مَن ادَّعى أَنَّ القصيدةَ بالنَّثرِ عربيَّةُ المنشأِ، وأَوردَ أَنَّ كتابَ أَبي حيَّان التَّوحيدي "الإِشاراتُ الإلهيَّةُ" هو قصائدُ بالنَّثرِ. لا يَعنيني مكانَ ولادتِها ولا أَعتقدُ أَنَّهُ يَعنيها، فهي كرَّستْ هُويَّتها في العالمِ.

هل بالضَّرورةِ أَن نظلَّ نبحثُ عن شهادةِ ولادةٍ للشَّيءِ كيْ نُثبِتَ وجودَهُ رغمَ أَنَّنا نراهُ حقيقةً؟ ثمَّةَ عقمٌ سيصِلُنا (في مسأَلةِ القصيدةِ بالنَّثرِ قد وصَلَنا) قبلَ أَن نصلَ إِليهِ. هوَ أَرادَ أَن يُريحَنَا من عبثِ الجدالِ، لكنَّ فينَا ما يزالُ يصرُّ على مقارعةِ هواءِ الطَّواحينِ!

القصيدةُ بالنَّثرِ وَلِدتْ مع شرعيَّتِها كَما يولَدُ كائنٌ من كائنٍ، لأَنَّهُ "لاَ شيءَ يأْتي من لاَ شيء" (شكسبير)، وتمامًا كمَا تمَّتْ ولادةُ القصيدةِ العموديَّةِ قبلَ أَكثر من أَلفٍ وسبعمائةِ سَنة، وقصيدةِ التَّفعيلةِ في الأَربعينيَّاتِ (ربَّما قَبل) منَ القرنِ العِشرين. إِذًا هيَ ليستْ نسيجُ نَفْسِها، بلْ هيَ تَحرُّرٌ/ تطوُّرٌ طبيعيٌّ كما يحدثُ لأَيِّ كائنٍ حيٍّ.

إِنَّني لا أَعتقدُ أَنَّ القصيدةَ بالنَّثرِ هي نبتةُ ظلٍّ، بل هيَ شجرةٌ موصولةٌ ومستقلَّةٌ بذاتِها في آنٍ، نبتتْ من بذرةِ تجديدٍ إيقاعيٍّ وحداثةِ إِبداعٍ؛ أَيْ أَنَّها لا تعتمدُ على بحورِ الشِّعرِ؛ عربيَّةً كانت أَمْ غربيَّةً، بل تعتمدُ أَوَّلاً على إِيقاعِ اللُّغةِ، وما نراهُ من الكمِّ الكبيرِ منَ استسهالِها لدَى الكثيرينَ، خصوصًا في المواقعِ الإلكترونيَّةِ، والخلطِ بينَها وبينَ الخاطرةِ النَّثريَّةِ مثلاً، هو بسببِ عدمِ وجودِ موهبةٍ أَصيلةٍ لدَى كاتبِها يُدرِكُ بها الإِيقاعَ اللُّغويَّ الَّذي هو بنيتُها الأُولى، إِضافةً إِلى أَنَّ لُغتَها هي لغةُ الحواسِّ، لا الوصفُ المباشَرُ الحكائيُّ، كأَنَّ الشَّاعرَ الَّذي لا يُدرِكُ ماهيَّتها يمسكُ آلةَ تصويرٍ بدلاً من ريشةٍ، وأَعني ريشةً فعلاً، وليسَ قلمًا. هذا مختصرٌ سريعٌ، لأَنَّ السُّؤالَ/ الموضوعَ بحاجةٍ إِلى أَكثر منْ هذا بكثيرٍ.

كأَنَّها أَوَّلُ الشِّعرِ

* النقد يهدف لإضاءة العمل الإبداعي، كيف تنظر للعلاقة القائمة بين القصيدة والنقد في مشهدنا الشعري الراهن؟

- هل هذهِ وظيفةُ النَّقـدِ؛ أَن يحمِلَ النَّاقدُ مِصباحًا، ويسلِّطُ حزمَ ضَوئهِ على العملِ الإِبداعيِّ ليُضِيئَهُ؟!

العملُ الإِبداعيُّ ذاتيُّ الإِضاءةِ، مشكَّلٌ من طَبقاتٍ ضوئيَّةٍ فوقَ بعضٍ، وفي كلِّ قراءةٍ أَعمقَ، يزدادُ التَّوهُّجُ مُصاحبًا دهشةً للقارئِ الذي يُتقنُ قراءَةَ العملِ الإِبداعيِّ بإِبداعٍ أَيضًا.

أَتساءلُ: هل النَّقدُ ضَرورةٌ للشِّعرِ؟ ماذا يقدِرُ النَّقدُ أَن يفعلَ للقصيدةِ؟ كيفَ يمكِنُ الكتابةُ عن شيءٍ يعبُرُكَ من حواسِّكَ إِنْ لمْ يكُنْ وما بعدَها؟ هل الكتابةُ عن الحُلمِ/ الدَّهشةِ/ التَّحليقِ في سابعِ فضاءٍ ممكنةٌ؟ أَعتقدُ، جازمًا، أَنَّ الشِّعرَ لا يحتاجُ الكتابةَ عنهُ، بل يريدُ الإِحساسَ المُتوسَّعَ بهِ، لدرجةِ أَن لا تستطيعَ معها سِوى أَن تجرعَ خمرَةَ الصَّمتِ ممزُوجةً بتفتُّحِ الرَّعشةِ أَزهارًا في كلِّ خليَّةٍ من خلاياكَ.

معظَمُ النَّقدِ العربيِّ للشِّعرِ يدورُ حولَ الغلافِ الغازيِّ للقصيدةِ، لأَنَّهُ يقرَؤها، كما يفعلُ أَيُّ قارئٍ، أَو حتَّى مُتلقٍّ، دونَ أَن يضعَ جانبًا إِرثَ أَفكارِهِ المُسبقةِ عن الشِّعرِ. إِنَّ القصيدةَ المبدَعَةَ تُريدُ أَن تُقرَأَ كأَنَّهُ لا قصيدَة قبلَها، ولستُ أُغالي إِن قلتُ: كأَنَّها أَوَّلُ الشِّعرِ.

"أَنا شاعرٌ، وهوَ مجرَّدُ إِمبراطور"

* بين السياسي والثقافي صداقة قديمة، هل تنجو القصيدة غالبًا من هذه الثنائية؟

- "صَداقة؟!".. لاَ توجَدُ صداقةٌ بينَهما، لأَنَّ عملَ السِّياسيِّ يختلفُ كلِّيَّةً عن عملِ الثَّقافيِّ، إِلاَّ مَن تقرَّبَ من الآخرِ لغَرضِ تحقيقِ هدفٍ مَا.

هذهِ الحقيقةُ ليستْ جديدةً، فلَطالَما كانَ التَّنافرُ بينهُما يصلُ حدَّ إِقدامِ السِّياسيِّ على كتمِ الثَّقافيِّ بشتَّى الوسائلِ، حينَ يشعرُ أَنَّهُ يشكِّلُ لهُ ناقوسَ تَنبيهٍ حينَ يتجاوزَ في سُلطاتِه الحُرِّيَّاتِ الطَّبيعيَّةِ، أَو المصلحةَ الوطنيَّةَ، لهذا نجدُ (أُوفيد) يثأَرُ للثَّقافيِّ / الشَّاعرِ منَ السِّياسيِّ: "أَنا شاعرٌ، وهوَ مجرَّدُ إِمبراطور!".

أَنا أَفهمُ دورَ الثَّقافيِّ أَمامَ السِّياسيِّ أَنَّهُ مُوَجِّهٌ لهُ يستفِيدُ من أَفكارِه، ويستطيعُ بِها أَن ينجوَ من الضُّغوطاتِ التي يتعرَّضُ لَها، حينَ يقيمُ حُكمًا ديمقراطيًّا، يعودُ إِلى الشَّعبِ في كلِّ مسأْلةٍ؛ خارجيَّةً كانتْ أَم داخليَّةً، وهذا يكونُ حينَ يُؤمِنُ السِّياسيُّ أَنَّ ثروةَ سُلطتِه أَو حُكْمِهِ، هيَ الإِنسانُ أَوَّلاً.

الشَّاعرُ المبدعُ المثقَّفُ لا يبحثُ إلاَّ عن الحقيقةِ والجمالِ والعدلِ والحبِّ، وعن كلِّ المعَاني الإِنسانيَّةِ السَّاميةِ، لهذا تجدُ هذا الشَّاعرَ تكتبُه قصيدتُه، لا هوَ، لأَنَّها تنبتُ في تُربةِ ذاتِه النَّقيَّةِ المُشبَعةِ بمَاءِ الحياةِ الأَنقى.

المهرجاناتُ إِنصاتٌ خارجيٌّ

* المهرجانات الشعرية، هل تخدم متخيل الشاعر، أم مجرد لقاء للأحباء والأصدقاء من جغرافيات متعددة، يجمعهم قلق القصيدة، وتفرقهم وحشة المسافة؟

- لا أَعتقدُ أَنَّ المهرجاناتِ الشِّعريَّةَ تخدمُ متخيَّلَ الشَّاعرِ، بل هي، كما تصفُها، مجرَّدُ لقاءٍ. الشِّعرُ الإِبداعيُّ ليسَ لهُ أَن يَعتليَ المنابرَ لأَنَّ الإِنصاتَ هنا يكونُ إِنصاتًا خارجيًّا؛ إِنصاتًا لصوتِ الشَّاعرِ لا الشِّعر. سأَفسِّرُ هذا بالآتي:

حينَ يدخلُ الشَّاعرُ في مجهولِ القصيدةِ بذاكرتِه المُنتبهةِ ومخيلتِه التَّأْويليَّةِ، ويخرجُ بنصٍّ شعريٍّ بعدَ أَمدِ معاناةٍ وعذابٍ مُريعٍ، يتدفَّقُ منهُ كأَنَّهُ عصارةُ الرُّوحِ، فكيفَ لهُ أَن يستعيدَ ويُعيدَ هذه الحالةَ منتصبًا على منصَّةٍ بصوتهِ فقط؟! كذلكَ، كيفَ

للسَّامعِ أَن يدخلَ في حالةِ الشَّاعرِ ويُدركَ ما أَدركهُ وهوَ في حالـةٍ نفسيَّةٍ مغايرةٍ؟! مـنَ الـصَّعبِ الوصـولُ حتَّى إلى عتبـةِ القـصيدةِ عـبرَ حاسَّـةِ الـسَّمعِ فقـط، لأَنَّ الـشَّاعرَ الحقيقـيَّ يكتـبُ بلغـةِ الحـواسِّ، وبالتَّـالي فـإِنَّ القـراءةَ يجـبُ أَن تكـونَ، أَيـضًا، بلغـةِ الحواسِّ.

العزلةُ ومزاجُ الإِبداعِ

* الكاتب المصري خيري شلبي اختار عزلـة المدافن كمكـان أثير للكتابة، حيـث اسـتأجر مـدفنًا يبتعـد فيـه عـن النـاس جميعًـا ليتفـرغ لإبداعـه. هـل العزلـة ضروريـة لهـذا الحـد ومحرضـة عـلى الكتابة؟

- إِذا كانَ (خيري شلبي) قدِ اختارَ مـدفنًا كـيْ يعتـزلَ النَّـاسَ للكتابةِ، فإِنَّ (جان بول سارتر) كانَ كتبَ كتابَهُ الـضَّخمَ الـشَّهيرَ "الوجودُ والعدمُ" في مقهًى باريسيٍّ. هل لهذا علاقـةٌ بالعزلـةِ، أَم بطقوسِ الكتابةِ، أَم بزَمنِها؟ أَم بمكانِها؟

أَنَـا أَرى أَنَّ العزلـةَ ضرورةٌ لمـزاجِ الإِبـداعِ؛ أَن تكـونَ كلُّـكَ وحدَكَ آناءَ الكتابةِ، بعدَ أَن تكونَ بينَ مجموعٍ، تشاركُ، وتراقـبُ،

وتتأَمَّلُ، وتحلِّلُ، وتفكِّرُ، وتخزِّنُ، وتدرِّبُ مخيلتَكَ... الخ. العزلةُ أَحتاجُها جدًّا، لأَنَّها تمنحُني قدرةً على التَّركيزِ الإبداعيِّ، وتفكيكِ المخيلةِ، وفتحِ دفاترِ الذَّاكرةِ، وسماعِ الصَّوتِ الخارجِ من داخِلي... كلُّ هذا وأَكثرُ، من أَجلِ كتابةِ نصٍّ شعريٍّ مُغايرٍ كلَّ مرَّةٍ؛ أَكونُ فيهِ شاعرًا واحدًا لقصيدةٍ واحدةٍ دائمًا.

"الشَّاعرُ يَعملُ"

* يُروى أن (سان بول روكان) يضع كل يوم على باب منزله الريفي في (كاماري) لافتة كتب عليها "الشاعر يعمل". هل عمل الشاعر على اللغة يشبه عمل النحات على منحوتاته، أو الفنان التشكيلي على لوحاته؟

- لاَ شكَّ أَنَّهُ يفهمُ ما يعملُ، ويَعِي الحاجةَ إلى الإتقانِ، لأَنَّهُ مَا من شيءٍ سهلٍ في الشِّعرِ؛ ابتداءً من بياضِ الورقةِ التي يراهَا الشَّاعرُ مُحيطًا لا إناءَ لهُ، وليسَ انتهاءً بانتهاءِ القصيدةِ المُفترضِ. حتَّى فُسَحَ البياضِ في الورقةِ؛ حولَها وبينَ الكلماتِ، "هيَ صمتٌ، لاَ ورقٌ" كَمَا يَراها (جوري جراهام).

هذَا الصَّمتُ الدَّاخليُّ من ضرورةِ الصَّمتِ الخارجيِّ، لترتيبِ الإيقاعِ اللُّغوي؛ "الشِّعرُ إيقاعٌ أكثرُ منهُ مضمونٌ، والنَّغمةُ أَخفى أَسرارِ الشِّعرِ" (شيمس هيني)، ولترتيبِ الشَّكلِ البصَريِّ للقصيدةِ، وذلكَ بتفعيلِ الشَّاعرِ لمخيلتهِ وذاكرتِه.

إنَّ عملَ الشَّاعرِ على اللُّغةِ هوَ العملُ الأَساسُ في النَّصِّ، فالشِّعرُ لغةٌ أوَّلاً. هذهِ اللُّغةُ بحاجةٍ إِلى الشَّاعرِ الرَّسَّامِ بريشتهِ المغموسةِ بماءِ كلِّ شيءٍ، والشَّاعرِ النَّحَّاتِ بإِزميلهِ المَبرِيِّ بكلِّ شيءٍ، حتَّى يخْرُجَ إِلينَا من فضاءِ عزلتهِ الفسيحِ بالتَّعبِ الكلِّيِّ، حاملاً قطعةً من روحهِ، يضعُها أَمامنَا دونَ انتظارِ شيءٍ من أَحدٍ.

قرانٌ جميلٌ

* هل من علاقة محتملة بين الإبداع والجنون؟

- كلُّ عملٍ إِبداعيٍّ هو جنونٌ جميلٌ؛ جنونٌ ليسَ كما يفهمهُ كثيرٌ منَ النَّاسِ أَنَّهُ مرضٌ كأَيِّ مرضٍ فسيولوجيٍّ!

فكرةُ الإِبداعِ تشرقُ من حُلمٍ، أَو مُستحيلٍ، لذا فهيَ غالبًا ما تُفسَّرُ بالجنونِ، حيثُ يبدأُ الحالمُ/ المبدعُ بمحاولةِ تطبيقِ حُلمِه إِنجازًا مرئيًّا في الحياةِ، وحينَ يفشلُ مرَّةً أَو أَكثرَ، ولأَنَّ حُلمَه في

نظرِ الآخرينَ استحالةٌ، تنشأُ العلاقةُ بينَ الإِبداعِ والجنونِ، كردٍّ فوريٍّ على فشلِ التَّطبيقِ، لذا تجدُ أَنَّ العزلةَ هيَ المأْوى لحينِ أَن يتحوَّلَ الحلمُ إِلى صيرورةٍ قائمةٍ على صدمةٍ متأَلِّقةٍ، ودهشةٍ لذيذةٍ، وقرانٍ جميلٍ بين الإِبداعِ والجنونِ.

الطفلةُ التي تُشاغبُ فيَّ

* داخل كل شاعر طفل ما، ينصت لسكناته وحركاته، هل طفلك الساكن في أعماقك مشاغب، أم مدلل؟

– صحيحٌ أَنَّ داخلَ كلِّ شاعرٍ طفلاً، لكنِّي أَشعرُ أَنَّ الَّذي في داخِلي هو طفلٌ أُنثويٌّ. لقدِ انتبهتُ أَكثرَ إِليهِ/ إِليها في مجموعتِي الشِّعريَّةِ "كتابُ المُنادَى"، ومن ثمَّ تحرَّكَ/ تحرَّكتْ في داخِلي أَكثرَ فأَكثرَ في المجموعاتِ الَّتي تَلتْها، مُسيطرًا/ مُسيطرةً عليها كلِّها؛ "خلفَ قَميصٍ نافرٍ"، و"هاوياتٌ مُخصَّبَةٌ"، و"أَطلسُ الغُبارِ"، و"معجمٌ بكِ"، وآخرها "كأَعمى تَقودُني قَصبةُ النَّأْيِ".

هذهِ الطِّفلةُ تشاغِبُ في داخِلي/ داخلَ النَّصِّ الشِّعريِّ، بِهُدوءٍ تأَمُّليٍّ، واسْتبصارٍ في كلِّ خطوةٍ لأَجْلِ حَذَرِها اللُّغويِّ أَوَّلاً

ودائـمًا، وتنـشيطِ البيـاضِ لحراثتِـه، فَتـسجيلِ الحُلـمِ مـا أَمكـنَ (الحُلمُ) الشَّاعرَ مـنَ استطاعةِ التَّأْويـلِ البَـصَريِّ. هكـذا شـاءتْ هـيَ أَن تكـونَ دونَ تـدخُّلٍ مـن الأَنـا الـشَّاعرةِ، فكـانَ مـا أَنجـزَه الشَّاعرُ فيَّ حتَّى مَشرقِ التَّوهُّمِ!

شرفةُ القصيدةِ الأُولى

* عملية اختيار عناوين الدواوين والقصائد صـعبة، وأحيانًـا كثيرة تـؤرّق الـشاعر، كيـف تختـار عنـاوين قـصائدك، وهـل مـن طقوس معينة في الاختيار؟

– ما من شيءٍ سهلٍ في الشِّعرِ الإِبداعيِّ. القصيدةُ معانـاةٌ مـن أَوَّلِ بريقِهـا إِلى أَن تُـصبحَ مِـدادَ ضـوءٍ عـلى أَديـمِ الحيـاةِ. اختيـارُ العناوينِ يقعُ ضمنَ هـذهِ المعانـاةِ، لكنَّهـا أَقـلُّ قلـيلاً مـنَ الكتابـةِ الشِّعريَّةِ ذاتِها.

العنوانُ جزءٌ مهمٌّ منَ القصيدةِ، ليسَ مـن أَجـلِ أَن تُـسمَّى بـهِ كما تُسمَّى الأَشياءُ فقط، بل لأَنَّهُ يمثِّلُ شُرفتَها الأُولى التـي تلـوِّحُ لنَا مِنها للدُّخولِ فِيها. أَحيانًا يأْتي العنوانُ مع القـصيدةِ، وأَحيانًـا أَظلُّ أَنتظرُه إِلى حينٍ ما، وأَحيانًا أَستخرجُه مِنها بعدَ طُولِ لأْيٍ.

قراءةُ الحياةِ بكلِّ مكوِّناتِها

* لكل شاعر مرجعياته التخيلية والجمالية لبناء عالمه الإبداعي، ما هي ينابيع ومجاري أنهارك الشعرية لتأسيس قصيدتك؟

- لا أستطيعُ حصرَها، لأَنَّها لا تَنحصرُ في القراءَاتِ فقط، بل هيَ أَكثرُ من هذَا؛ إنَّها في قراءةِ الحياةِ بكلِّ مكوِّناتِها، لأَنَّها تتراكمُ شيئًا فشيئًا، ولحظةً إثرَ لحظةٍ، لتُشكِّلَ المصادرَ والمراجعَ والينابيعَ الفكريَّةَ والفنيَّةَ والجماليَّةَ. كلُّ هذهِ تعملُ في الذَّاتِ الموهوبةِ، كأَنَّها ثمارٌ ذاتُ بذورٍ ناضجةٍ تغوصُ في تُربتِها العطشَى.

كنتُ أقرأُ أَيَّ شيءٍ تقعُ عليهِ عينايَ، كنتُ جَرادةَ قراءةٍ، ولمْ أَكنْ انتقائيًّا آنذاكَ، لكنْ تجدُ نفْسَكَ، بعدَ نُضجِ التَّجربةِ، أَنَّكَ ميَّالٌ لقراءاتٍ معيَّنةٍ، ولا تجدُ لهذا تفسيرًا إلاَّ التَّفسيرَ النَّفسيَّ المُستمدَّ منَ الميلِ الشَّخصيِّ أَوَّلاً.

تَوَرُّثٌ وتجديدٌ

* هل قتل الأب رمزيًّا في القصيدة، دليل على خلق أراضٍ شعرية مغايرة؟

- ما من قتلٍ يمكـنُ أَن يُنجزَ إِطلاقًـا، لأَنَّ الكتابـةَ الإِبداعيَّـةَ تَـوَرُّثٌ وتجديـدٌ دائـمًا، لـذَا لا يمكـنُ أَنْ تكـونَ كتابـةٌ مـن عـدمٍ، فالكتابةُ حلقـاتٌ متشابكةٌ، يـضيفُ كـلُّ مبـدعٍ حلقتَـه إِليهـا. إِنَّ قطعَ الحبلَ السُّريَّ ضرورةٌ حياتيَّةٌ، لكنَّ هذهِ العمليَّةَ الانفصاليَّةَ لا تقطعُ المُورَّثاتِ الجينيَّةَ، والمبدعُ عليهِ أَنْ يجدِّدَها ويطوِّرها بعـدَ أَنْ يكونَ قد اسْتقَى مِنها ما يلزمُ، ومن ثمَّ يبتكـرُ جيناتـهِ الخاصَّـةِ بهِ، والتي تحملُ صفاتَهُ الحديثةَ والجديدةَ، فلا يكـونُ نـسخةً عـن أَحدٍ، بل عليهِ، بابتكارهِ، أَن يجعلَنا نحسُّ أَنَّهُ نسيجُ ذاتِه فقط.

القصيدةُ وعذاباتُها العذبةُ

* قصيدة عذبتك كثيرًا قبل ولادتها الأخيرة؟

- ما من قصيدةٍ مُبدَعةٍ لا عذابَ يُرافقُ حَمْلَهـا وولادتَهـا، بـل وحتَّـى العنايـةَ بهـا. هـيَ شيءٌ جديـدٌ سيـخرجُ للحيـاةِ أَوَّلَ مـرَّةٍ، وأَيُّ شيءٍ جديدٍ سيخرُج من الرَّحمِ الـذي هـو فيـهِ سـيفرزُ معـهُ معاناةً لَمن يضمُّه في رحمِه. لذَا، لا أَذكرُ قصيدةً، حتَّـى في بـداياتِي، كانت محلِّقةً بـينَ حُرقـةِ الحبرِ ورقَّـةِ الـورقِ، وأَنَّهـا كانـت تـتجلَّى بوضوحٍ أَمامَ عينيَّ، وأَنَّني لَمْ أَكنْ سِوى ناسخٍ لها، أَو مُدوِّنًا.

طبعًا، ثمَّةَ عذابٌ متفاوتٌ بين قصيدةٍ وأُخرى، وهـذا يتعلَّقُ باعتبـاراتٍ عـدَّةٍ، مثـلَ درجـةِ حـساسيَّةِ موضـوعِها، ووضْـعِ شـاعرِها النَّفـسيِّ، ومقـدارِ نُـضجِ حواسِّـهِ، وحديقتـهِ الفكريَّـةِ والمعرفيَّـةِ. أَعجبتنـي، وأَراهـا تـضيفُ إلى ردِّي إضـافةً مهمَّـةً، مقولةُ الشَّاعرِ (تشارلز سيميك)،: "الشِّعرُ ثلاثةُ فردِ أَحذيةٍ غـيرِ مُتطابقةٍ في مدخلِ عمارةٍ مُعتمةٍ".

هل ما يَراهُ هو القصيدةُ ؟

* ما هو إحساسك بعد الانتهاء من كتابة قصيدة؟

- ثمَّة ما قلتُه في هذا شعرًا:

"حِينَ انْتَهَى مِنْ وَجْهِهَا الْبَرِّيِّ أَطْفَأَ عَيْنَهُ
ذَاكَ الدُّخَانُ، تَمَدَّدَ الْجَسَدُ الطَّرِيُّ، تَثَاءَبَتْ
كُلُّ الْمَفَاصِلِ وَالْحَوَاسْ،
وَرَأَى بِأُخْرَى أَنَّهُ
فِي حَالَةِ الْإِغْمَاءِ أَنْضَجَ مِنْ فَوَاكِهِ تُشْتَهَى..
لَمْ يَسْتَرِحْ فِي مِتْعَةٍ
قَلَقٌ يُطَالِعُ بُقْعَةَ اللَّوْنِ/ الْحِكَايَةَ فِي بَرَارِيهَا/ الْمَدَى

وَهُوَ انْتِظَارَاتُ الصَّدَى..

هِيَ هكَذَا، أَوْ هكَذَا

تَأْتِي إِلَيْهِ كَأَنَّهَا الْأُولَى، فَيَرْشُقُ سُؤْلَهُ

مِنْ فُوَّهَاتِ جُنُونِهِ:

هَلْ مَا يَرَاهُ هُوَ الْقَصِيدَةْ؟"

الشِّعرُ خارجَ الزَّمانِ والمكانِ

* زمان ومكان الكتابة يختلف من مبدع أو شاعر لآخر، منهم من يكتب في الليل، ومنهم في ساعات الصباح الأولى، بعضهم يفضل المقهى، آخرون عزلة في مكاتبهم، كيف هي طقوس الكتابة عندك زمنيًّا ومكانيًّا؟

- لأنَّني أَعتبرُ نَفْسي شاعرًا لا زمانيًّا ولا مكانيًّا (هكذا على الشُّعراءِ أَن يكُونوا)، ولأَنَّ الشِّعرَ يحضرُ بذاتهِ أَينَ شاءَ ومتى شاءَ، فإِنَّ على الشَّاعرِ أَنْ يتوقَّعَ حضورَهُ في أَيَّةِ لحظةٍ، وفي أَيِّ مكانٍ، وبالتَّالي فإِنَّه منَ المفترضِ أَن لاَ طقوسَ لهُ، فهوَ فنٌّ كتابيٌّ يختلفُ كليًّا عن الفنونِ الكتابيَّةِ الأُخرى كالرِّوايةِ والقصَّةِ مثلاً.

القصيدةُ لها برقتُها الأُولى، وتكونُ قبلَ فكرتِها، ولأَنَّ الشَّاعرَ المبدِعَ لا يَجلسُ ليكتبَ قصيدةً بإرادتهِ ووعيهِ، لذَا فأَنا أُحاولُ أَن أَلتقطَها ما استطعتُ، بتدوينِها على أَيِّ شيءٍ، ولَوْ على سطحٍ مكسوٍّ بالغُبارِ، لأَنَّها برقةٌ/ ومضةٌ/ شعاعٌ سريعٌ خاطفٌ، ولأَنَّها- بعدَ بريقِها والتقاطِهِ، تصيرُ دخولاً في عوالمَ مجهولةٍ غيرِ مرئيَّةٍ للشَّاعرِ. هذه الومضةُ كانت مشروعَ كتابي "الإِشراقةُ المُجنَّحَةُ- لحظةُ البيتِ الأَوَّلِ منَ القصيدةِ"، حيثُ شاركَ في هذا الكتابِ مائةٌ وواحدٌ وثلاثونَ شاعرًا/ ةً في رصدِ هذهِ اللَّحظةِ، وكانت الشَّهاداتُ إِبداعًا آخرَ على إِبداعِهم الشِّعريِّ. صدرَ الكتابُ، والذي يُعتبَرُ الأَوَّلَ من نَوعهِ من حيثُ المحتَوى، بثلاثمائةٍ وستِّينَ صفحةً من القطعِ الكبيرِ، وبتقديمِ الشَّاعرِ والنَّاقدِ (شربل داغر) تحتَ عنوان "لحظةٌ بأَبدٍ.. إِنْ أُتيحَ لها أَن تُشرقَ".

نحنُ نُوجَدُ، فيما أُطلقَ عليهِ في الحياةِ/ المكان، ضمنَ سياقِ الزَّمانِ، وشِعريًّا؛ لستُ أُؤمنُ بِهذا ولا ذاكَ؛ مَا من مكانٍ ولا زمانٍ في الشِّعرِ؛ كِلاهما ظلٌّ لشيءٍ مُشتَبهٍ بهِ. الزَّمانُ هو ساعةُ الرَّملِ بذرَّاتِها اللاَّسعةِ فوقَ جلودِنا البيضَاء، والتي لا يمكنُ أَن

نَقلِبها لتكرِّرَ ذرَّاتها مرَّةً أُخرى، والمكانُ الذي هو إناءُ ساعةِ الرَّملِ، حالةٌ افتراضيَّةٌ لا أَكثرَ. المكانُ والزَّمانُ يكونانِ في حالةِ الخلودِ، وبما أَنَّهُ ما من خلودٍ هنَا، فإِنَّهما افتراضانِ/ احتمالانِ/ تَوَهُّمانِ لا أَكثرَ، لذَا ما من لاعبٍ حقيقيٍّ سوى الشَّاعرِ/ المبدعِ عمومًا، الذي يَبقرُ رحمَهُما ليكونَ خارجَهما، لهذا نجدُ إبداعَه خارجَ سياقِهما جمالاً وحقيقةً، وأَيُّ عملٍ يُنتَج داخلَهما، هو عملٌ ثابتٌ ومكرَّرٌ وغيرُ رؤيويٍّ على الإِطلاقِ. المهمُّ هو العثورُ على المفتاحِ أَوَّلاً، ومن ثمَّ إِنشاءُ النَّسيجِ الذَّاتيِّ للشَّاعرِ. "لقدْ عثرتُ على المفتاحِ وتفرَّدتُ بِهِ لوَحدي" (آرثر رامبو).

بالنِّسبةِ إِليَّ، كان عليَّ أَن أَفقَه لأَفهقَ هذا الرَّحمَ؛ لأَلفُظَ "الزَّمكانَ"، ولأَنتخبَ الفضاءَ؛ الحريَّةَ.. الحبَّ.. الحقيقةَ.. الحياةَ... وأَنا ما زلتُ أَشتغلُ، منذُ أَن قطعتُ الحبلَ السُّريَّ، على هذا، ثمَّ إِنَّهُ لعلِّي لم أَبلغِ الرُّشدَ بعدُ.. هل أُريدُ؟

لا أَعتقدُني فكَّرتُ بهذا رغمَ الخمسينَ من أَعوادِ ثقابِ عُمري التي تحاولُ الاحتفاظَ بلهبِها إِلى أَن تسقطَ ورَقَتي من السِّجلِّ العاليِّ.

كأنَّهُ وردةٌ عاشقةٌ

* قراءة الإبداع بمختلف أجناسه على الشبكة العنكبوتية/ الإنترنيت، هل عوضت فعلاً حميمية ودفء ومتعة الكتاب الورقي؟

- لاَ.. لمْ تفعلْ هذَا، بلْ زادتِ الحنينَ إلى الكتابِ؛ إلى عناقِهِ كامرأةٍ، وتمريرِ الأَصابعِ فوقَ كلماتِه، وشمِّ رائحةِ ورقِهِ وحبرِهِ كأنَّهُ وردةٌ عاشقةٌ. هذهِ الشَّبكةُ حَرمَتْنا من حقِّنا برجفاتِ الحواسِّ حينَ يقعُ الكتابُ، أَوِ المجلَّةُ، أَوِ الجريدةُ بينَ أَيدينَا. بالنِّسبةِ إليَّ، أَلجأُ كثيرًا إلى الطِّباعةِ عنِ الشَّبكةِ كيْ لاَ أَفقدَ الحالةَ المُشتهاةَ تلكَ.

كنتُ كتبتُ مقالةً بعنوان "الإطلالُ من نوافذِ الورقِ ونوافذِ الزُّجاجِ"، حولَ النَّشرِ الورقيِّ والنَّشرِ الإلكترونيِّ، وتطرَّقتُ فيها إلى عذابِ النَّشرِ أيضًا، عدَا عن عذابِ الكتابةِ، وممَّا جاءَ فيهَا: كانَ الإطلالُ من نوافذِ الورقِ (في جريدةٍ أَو مجلَّةٍ) يُشكِّل شهادةَ ولادةٍ للنَّصِّ، لهذَا كنتُ أَفرحُ حينَ أَراهُ، فأَحتضنُ الجريدةَ أَوِ المجلَّةَ كثيرًا، كأَنَّها هديَّةٌ مفاجئةٌ لمْ تكنْ تخطرُ في بَالي رغمَ توقُّعِها. لكنَّ الإطلالَ من نوافذِ الزُّجاجِ، رغمَ مساحتهِ

التي تتشاسعُ كلَّ يومٍ، حرَمنِي من عبيرِ الحبرِ، ورائحةِ الورقِ، وعناقِ جسدِ النَّصِّ. طبعًا لاَ أَعني بهذَا أَنَّني ضدُّ نوافذِ الزُّجاجِ، لكنَّها حالةُ الحنينِ إلى مَا كانَ (...) كلاَهما وردةٌ.. لكنْ؛ ثمَّةَ فرقٌ واضحٌ جدًّا (لمْ يزلْ من وجهةِ نظرِي، ربَّما بسببِ أَنَّني مخضرمٌ من ناحيةِ النَّشرِ) بينَ الوردةِ الحقيقيَّةِ والوردةِ البلاستيكيَّة.. أَليسَ كذلكَ؟!

بينَ الوفاءِ ونرجسيَّةِ الشَّاعرِ

* كتاب (مرايا الصهيل الأزرق- رؤية. قراءات. حوارات) الذي صدر لك مؤخرًا، هل هو توثيق لذاكرة الشعر واللغة ضد كل أشكال المحو والنسيان، أم غبطة جمع أنفاس الروح والحلم والكتابة بين دفتي كتاب؟

- لأَنِّي أُحبُّ الوفاءَ كثيرًا، ولأَنِّي رأَيتُ أَن أَجمعَ شتاتَ القراءاتِ والحواراتِ المُنتشرةِ في أَكثرَ من صحيفةٍ ومجلَّةٍ وموقعٍ إِلكترونيٍّ حيثُ أَتوقَّعُ أَن لاَ أَجدَ أَحدًا سيجمعُها في المُستقبلِ، لذَا قرَّرتُ جمعَها في كتابٍ خاصٍّ. إِنَّني أَعتبرهُ (شهادةَ تقديرٍ) لي، كما اعتبرتُ كُتبًا سابقةً: "مراتبُ النَّصِّ- قراءةٌ في سيرةِ محمَّد

حلمي الرِّيشة الشِّعريَّةِ" للشَّاعرِ والنَّاقدِ الرَّاحلِ مبكِّرًا علاَء الدِّين كاتِبَة، وكتاب "ضفافُ الأُنثى: سطوةُ اللَّحظةِ وطقوسُ النَّصِّ- مقارباتٌ في شعرِ محمَّد حلمي الرِّيشة" للنَّاقدِ د. إبراهيم حسَّونة.

هل أكونُ وقِحًا حينَ أقولُ: لمْ أحصلْ طوالَ مَسيرتي الشِّعريَّةِ، الَّتي تجاوزَ عمرُها خمسًا وثلاثينَ سنةً، على أَيَّةِ جائزةٍ مثلاً، أَو تقديرٍ وتكريمٍ مادِّيَّيْنِ؟ بل ما زلتُ أَطبعُ كُتبِي على نَفَقتي الخاصَّةِ وعلى حسابِ عائِلَتي، من شدَّةِ إِخلاصي وجُنوني، وأُوزِّعها بيديَّ مجَّانًا!

بإِمكانكَ أَن تقولَ: إِنَّهُ من بابِ التَّوثيقِ، للشِّعرِ والشَّاعرِ، ضدَّ الضَّياعِ، أَوِ الإِهمالِ، أَوِ النِّسيانِ... وبإِمكانكَ أَن تقولَ: إِنَّهُ شيءٌ من نرجسيَّةِ الشَّاعرِ.

الحبُّ .. الشِّعرُ .. المستحيلُ

* ماذا تمثل لك قصيدة "(لاورا) اللغز المبتسم غموضًا"، والتي كتبت قبل واحد وثلاثين سنة، تمثل تراجيدية مدمرة بين

شاعر وامرأة، فَقدٌ بطعم الحنين، ووعد مات قبل وصول التحية...؟

- كنتُ قرأتُ، في ذلكَ الوقتِ، القصَّةَ التّراجيديَّةَ للشَّاعرِ الإيطاليِّ (فْرَانْتْشِيسْكُو بِتْرَارْكَا ١٣٠٤-١٣٧٤م)؛ هذا الشَّاعرُ الذي أَحبَّ حبًّا مُستحيلاً دامَ واحدًا وعشرينَ سنةً، وعاشَ وماتَ في المنفَى بعيدًا عن وطنِه، وهذا الحبُّ هو امرأةٌ لمحَها مرتديةً بُرقعًا في كنيسةٍ ذاتَ صباحٍ من شهرِ نيسانَ؛ امرأةٌ تموتُ بعدَ لمحةِ العينِ تلكَ بواحدٍ وعشرينَ سنةً بالتَّمامِ، ودونَ أَن تعرفَ هي بِهذا العشقِ طوالَ تلكَ المدَّةِ، والتي كتبَ خِلالها لَها أَكثرَ من أَلفٍ وأَربعمائةِ "سُونيَّتَهْ Sonett"، لمْ تَقرأْها.. إِنَّهَا (لاوْرَا مِينِيأَتُورَا). هذه القصَّةُ تركتْ أَثرَها الهائلَ في نَفْسي، إِذ كنتُ آنَها في بداياتِ تَمارِيني الشِّعريَّةِ، تُرافقُها حالةُ حبٍّ يدخلُ القلبَ أَوَّلَ مرَّةٍ وفجأَةً من نافذةِ المراهقةِ، ويتعثَّرُ من بداياتِه.

رسالةٌ إِلى (م) الأَديبِ

* كيف تنظر بعد هذا العمر، إلى ذكرياتك القديمة الأولى مع أول قصيدة كتبتها أو نشرتها؟

- هيَ لم تكنْ قصيدةً، رغمَ إِصرارِ بعضِهم، آنذاكَ، أَنَّها قصيدةٌ؛ هل كانَ إِصرارُهم مجاملةً وهميَّةً، أَم تشجيعًا خائنًا، أَم تحريضًا مريضًا لأَجلِ مُحاولةِ الثَّانيةِ؟ لستُ أَعرفُ حتَّى هذهِ اللَّحظةِ! ربَّما لأَنَّ نشرَها جعلَها تُسمَّى قصيدةً، رغمَ أَنَّها لم تكنْ عموديَّةً، أَو تفعيليَّةً، بل كانتْ رسالةً عاطفيَّةً، أَخرجتُها بشكلِ القصيدةِ التَّفعيليَّةِ (كانتْ دونَ وزنٍ عَروضيٍّ لأَنَّني لَمْ أَكنْ مُلمًّا بعدُ بعلمِ العَروضِ) وذلكَ للتَّمويهِ كيْ تُنشرَ، فترَاها جهةُ الوصولِ)، لا أَذكرُ منها سِوى عنوانِها "رسَالة إِلى (م)"، لكثرةِ ما سُئلتُ عنها في حواراتٍ وغيرِها، وها أَنتَ تفعلُ كذلكَ.

الطَّريفُ المؤلمُ أَنَّ نشرَها، بصفتِها قصيدةً، وغزليَّةً أَيضًا، كانَ سببًا لهجومِ مدرِّسِ التَّربيةِ الدينيَّةِ عليَّ منذُ لحظةِ دخولِه غرفةَ الفصلِ الدِّراسيِّ: "أَتكتبُ غزلاً يا ولد؟!" (حينها عرفتُ منهُ عن نشرِها في الصَّحيفةِ)، ومن ثمَّ إِخراجي من الفصلِ الدِّراسيِّ لبضعةِ حصصٍ مُتتاليةٍ، عقوبةً لي، إِثرَ جدالٍ قصيرٍ جدًّا، لم أَطلبْ فيهِ، بصفتهِ قد تحوَّلَ، فجأَةً، إِلى قاضٍ، أَن أَعرفَ تُهمتي أَوَّلاً. كانَ الأَكثر دهشةً بالنِّسبةِ إِليَّ، لمَّا كتبَ محرِّرُ الصَّفحةِ، في الأُسبوعِ التَّالي، مقالةً عنونَها "رسالةٌ إِلى (م) الأَديبِ" حيثُ (م)

هذهِ المرَّة تَعني الحرفَ الأَوَّلَ منِ اسمِي، مادِحًا "القصيدةَ"، وواصفًا كاتبَها أَنَّهُ أديبٌ (لم يكتبْ أَنَّهُ شاعرٌ)، ومُعتقدًا أَنَّهُ كبيرُ العمرِ، وكانَ أَن تفاجأَ بصغرِ سنِّي (١٤ سنةً)، حينما قدَّمني إِليهِ (إِلى المحرِّرِ) وكيلُ وموزِّعُ الصّحيفةِ قائلاً لهُ: هذا هوَ (م) الأَديبُ!

أَعترفُ بأَنِّي حاولتُ "القصيدةَ" الثَّانيةَ؛ ليسَ بعدَ نشرِ الأُولى، أَو مقالةِ المحرِّرِ فقط، بل لأَنَّني أَردتُ من (م) الأُنثى، أَن تعرِفَ أَنَّني صِرتُ (شاعرًا) بينَ عشيَّةٍ وضُحاها (بينَ قصيدةٍ ونشرِها)، لإِظهارِ تفوُّقِ العاشقِ المراهقِ (شاعرًا) على مَشاعرِها المُنكِرةِ لَهُ.

إِنَّني أُفكِّرُ، منذُ مدَّةٍ لا بأَسَ بِها، أَن أَكتبَ "سِيرَتي الشِّعريَّةَ"، وها هوَ سؤالُكَ يُذكِّرني بِها (قد لا تكونُ مهمَّةً لأَحدٍ.. سِوايَ، فقط.. لأَختمَ بِها رِحلَتي الأَدبيَّةَ)، حيثُ تشتعلُ الفكرةُ حِينًا، وتنطفئُ أَحايينَ أَكثرَ، إِذ لم أَستطعْ حتَّى الآنَ، أَن أَقتطعَ لها وقتًا في ازدحامِ وقتِي.

حَياتي الشِّعرُ

* هـل كتابـة الـسيرة الـشعرية ضروريـة لمعرفـة مـسارات القصيدة واللغة عند الشاعر؟

- لـستُ أَعـرفُ، رغـمَ أَنَّنـي فكَّـرتُ مـرارًا بِهـا، ورغبـتُ بالمحاولةِ، إِلاَّ أَنَّني لمْ أَجِدْ وقتًا لهَا، لأَنَّ الموضـوعَ لـيسَ سـهلاً، وهوَ بالنِّسبةِ إِليَّ يشبِهُ حالةَ الكتابةِ الـشِّعريَّةِ، وهـوَ استعادةٌ من بعيدٍ؛ عالٍ وعميقٍ وأُفقيٌّ ممدودٍ في آنٍ، كأَنَّهُ كلُّ الوقـتِ المـاضِي، وكأَنَّهُ الأَمسُ، وكأَنَّهُ الآنَ، وكأَنَّهُ غدًا، وكأَنَّهُ لمْ يكنْ!

هـذهِ حالـةٌ تنتـابُني كثيرًا حيـنَ أُحـاولُ أَن أَسـتعيدَ مـشواريَ الشِّعريِّ، وبالتَّأْكيدِ سأُصابُ بِها أَكثرَ فيـهَا لـوْ شرعـتُ بكتابتِهـا، وإِذا كانَ الشَّاعرُ الرَّاحلُ (صلاح عبد الصَّبور) قد جعـلَ عنـوانَ كتابهِ "حَياتي في الشِّعرِ"، فأَنا أَعتقدُ أَنَّ العنوانَ الأَنـسبَ لِسيرَتي الشِّعريَّةِ هوَ "حَياتي الـشِّعرُ"، لأَنِّي كرَّسـتُ جُـلَّ حيـاتِي لـهُ حتَّـى بلغتُ، أَكثـرَ مـن مـرَّةٍ، حافَّـةَ اللاَّجـدوى مـن شـدَّةِ اعتنـاقِي لـهُ، وخَوفي عليهِ، في هذَا الزَّمنِ العربيِّ المَريضِ بكلِّ شيءٍ مريضٍ.

كتابةُ السِّيرةِ الشِّعريَّةِ بـصدقٍ وأَمانـةٍ، وبـوحٍ مُـريحٍ وشـفيفٍ بإِيجابيَّـاتِ التَّجربـةِ وسـلبيَّاتِها، ودونَ بطولـةٍ ثلجيَّـةٍ، إِضـافةً إِلى

الحـوارات، ومقـالاتِ وكتابـاتِ الـشَّاعرِ الأُخـرى، والقـراءاتِ الإبداعيَّةِ لآخرينَ مبدعينَ، وغيرُها، لاَ شكَّ أَنَّها تـشكِّلُ عتبـاتٍ ونوافذَ ومعابرَ لولوجِ النُّصوصِ الشِّعريَّةِ، على الرَّغمِ من أَنَّ كلَّ هذَا لاَ يُغني عن قراءةِ النَّصِّ ذاتهِ قـراءةً إبداعيَّـةً مـن قِبَـلِ قـارئٍ مُبدعٍ، لأَنَّ القارئَ خلاَّقٌ آخرُ.

"القرآنُ الكريـمُ"

* ما هـو أجمـل كتـاب قرأتـه وأثـر في متخيلـك، وتجربتـك في الحياة والكتابة؟

- "القرآنُ الكريمُ". أَقولُ دونَ تذكُّرٍ، أَو تردُّدٍ. بالتَّأْكيدِ كانَ، ولا يزالُ، لهُ أَثرٌ عظيـمٌ في تَربيتِـي الحياتيَّةِ والـشِّعريَّةِ، واجـتراحِ مُحاولاتِ كتابةِ القصيدةِ. لقدْ وجـدتُ أَثـرَه في كتـابتِي الـشِّعريَّةِ، وغيرِ الـشِّعريَّةِ، يتغلغـلُ فـيهما، حيـثُ تعلَّمـتُ الكثافـةَ اللُّغويَّـةَ، والإيجازَ التَّعبيريَّ، وما وراءَ النَّصِّ، ... لستُ أَدَّعي أَنَّـهُ الوحيـدُ الذي تأَثَّرتُ بهِ، لكـنْ لأَنَّ سـؤالكَ يطـالبُني بـذكرِ كتـابٍ واحـدٍ كانَ لهُ حضورُه الفعليُّ في الحياةِ والكتابةِ.

قراءةُ عوالمَ أُخرى

* هل السّفر يعطيك متسعًا أو رغبة في الكتابة؟

- أَعتقدُ أَنَّ أَثرَه كانَ غيرَ مباشرٍ في كتَابتي، بِمعنى أَنَّني لا أَتأَثَّر مباشرةً بالحالةِ التي أَتواجدُ فيها مكانًا وزمانًا.

بالتَّأْكيد السُّفرُ ضرورةٌ للمبدِع، فهو مثلَ قراءةِ عوالمَ أُخرى تساهمُ في إِثراءِ تجربةِ الشَّاعرِ، حيثُ تعملُ الذَّاكرةُ المُتنبِهةُ للشَّاعرِ على تَخزينِ أَثرِ السَّفرِ بشتَّى الأَشياءِ، وبالتَّالي قد تَظهرُ هذه في نصوصِ الشَّاعرِ من حيثُ لا يَدري هو، أَو بقصدٍ منهُ، مع عَملِ المخيلةِ المُنتبهةِ، وهذا بلاَ شكٍّ شيءٌ جميلٌ يضافُ إِلى جماليَّاتِ النَّصِّ الشِّعريِّ الإِبداعيِّ.

لا يعرِفُ لماذا يكتبُ!

* يقول الشاعر محمد بنيس في حوار أجري معه بجريدة الحياة اللندنية بتاريخ ١٠ مايو ١٩٩٠: "أنا لا أعرف لماذا أكتب، ولا ما الذي يدفعني للكتابة، وبالتالي لو كنت أعرف ذلك لم أكن لأكتب على الإطلاق." كيف تنظر لتفسير مجهول الكتابة ودوافعها؟

- أَجملُ ما في الإبداعِ أَن لا تَعرِفَ لماذا تُبدِعُ! "معرفةُ الشَّيءِ تَقضِي على ثلاثةِ أَرباعِ المتعةِ فيهِ" كما قالَ الرَّمزيُّونَ.

إِنَّ الكتابةَ الإِبداعيَّةَ عبورٌ من منطقةِ الحلمِ/ اللاَّوعيِ إِلى جهةٍ/ جهاتٍ مجهولةٍ، لم تكنْ عَرفْتَها من قبلُ بأَيَّةِ وسيلةٍ. ثمَّةَ لذَّةُ الاكتشافِ التي تدهِشُ المكتشِفَ أَوَّلاً وهو يعبرُ عتمةً يُضيئُها بحواسِّهِ اليقظةِ.

فِعلاً، المبدعُ لا يعرِفُ لماذا يكتبُ، وما هيَ دوافعُ الكتابةِ؟! فالكتابةُ، لدَى المبدعِ، ليستْ ممارسةً غريزيَّةً/ آليَّةً، لأَنَّهُ لو عرفَ ماذا يكتبُ، أَو ماذا سيكتبُ مُستقبَلاً، لَكسرَ القلمَ، ورفعَ ورقتَه بيضاءَ للنَّاظرينَ، لأَنَّ الكتابةَ، وشتَّى الفنونِ، يجبُ أَن تأْتيَ بجديدٍ؛ مبدَعٍ لم يكنْ موجودًا من قبلُ.

الحبُّ الذي لا أَستطيعُه

* أَحبّ المجموعات الشعريَّة إلى نفسك، ولماذا؟

- لا أَستطيعُ هذا الحبَّ مهما حاولتُه، لكنِّي أَستطيعُ القولَ: إِنَّ العملَ الأَخيرَ، وأَثناءَ إِنجازِه، يستحوذُ على محبَّتي رِعايةً واهتمامًا واستحقاقًا حتَّى يُشعِرَني بانتهائهِ. كلُّ عملٍ؛ مجموعةً

شعريَّةً كانتْ أَم قصيدةً، كنتُ أُعطِيها منَ الوقتِ والتَّفرُّغِ الكثيرَ مِمَّا تحتاجهُ لإنشائِها، رغمَ كثرةِ مشاغلِ الحياةِ وضروراتِها؛ بَدءًا منَ الجريِ خلفَ قُرصِ الخبزِ، وليسَ انتهاءً بالنَّومِ القليلِ جدًّا. (أَهذا جنونٌ، أَو غيرُ مُجدٍ؟ كما يقولُ لي ابني، كلَّما مرَّ بي ورآني غائبًا عنِ الوعيِ بينهم من أَجلِ مقطعٍ شعريٍّ، أَو بيتِ شِعرٍ).

لا جَدوى حتَّى منَ الحُلمِ

* ماذا يعني لك أن تكون شاعرًا الآن؟

- أَرشقُ نظرةً عميقةً كسَهمٍ مُتعَبِ العينِ إلى ورَائي البعيدِ.

أَنظرُ بينَ قدميَّ الآنَ كأَنَّهما على حافَّةِ هاويةٍ.

أُحاولُ أَن أُرسلَ نظرةً شهابيَّةً إلى ما لمْ يأْتِ بعدُ.

أَفعلُ كلَّ هذَا من أَجلِ أَن أُجيبَ على هذا السُّؤالِ! ربَّما لأَنَّني لم أُفكِّرْ، ذاتَ يومٍ، بكَينُونتي شاعرًا.

لا أُخفِي أَنَّني، بهذهِ الصِّفةِ، شِبهُ فَرِحٍ حتَّى مَطلعِ اليأْسِ، وشِبهُ يائسٍ حتَّى مَطلعِ الفَرحِ.

لقد قرأتُ، حينَ كنتُ في تمارينِ البداياتِ، مقولةً لأُستاذي الشَّاعرِ والكاتبِ عَلي الخلِيلي: "الكتابةُ فرحٌ". كنتُ، حقيقةً،

أَشعرُ بِهذا، حيثُ لمْ أَكنْ أَعرفُ الكثيرَ عنِ "قَرَفِ" الواقعِ الثَّقافيِّ، والذي أَدَّى بِي، منذُ سنواتٍ كثيرةٍ، إِلى هجرِهِ نحوَ عزلةٍ صحيَّةٍ، مَنحتْني قُدرةً هائلةً على القراءةِ الجشعةِ، والتَّأَمُّلِ الشَّبقِ، والكتابةِ باشتهائِها.

أَتذكَّرُ الآنَ أَنَّني، منذُ الوعيِ الأَوَّليِّ، كنتُ أَحلمُ كثيرًا أَن أَكونَ شيئًا ما؛ شيئًا اعتباريًّا، على اعتبارِ أَنَّ على الإنسانِ أَن لا يَمُرَّ في الحياةِ دونَ أَن يتركَ أَثرًا جيِّدًا مهما صَغُرَ شأْنُه، وكنتُ أُردِّدُ: صورةُ الإِنسانِ أَبقَى منهُ. لهذا، حاولتُ تفعيلَ أَكثرَ من مَوهبةٍ منذُ صِغري، إِذ يُخلَقُ الإِنسانُ وفيهِ أَكثرُ من مَوهبةٍ، إِلاَّ أَنَّ إِحدَاها أَو أَكثرَ، تظهرُ وتستبدُّ بِهِ. وكانَ أَن ظهرتْ أَكثرَ موهبةُ الشِّعرِ، وفرِحتُ بِها حِينَها، لكنَّ هذا الفرحَ كانَ يتناقصُ تدريجيًّا، لأَنَّكَ تكتشِفُ باستمرارٍ، بمَهارةِ العبثِ ربَّما، أَن لا جَدوى، في واقعِنا المريرِ/ المنهوبِ/ المـ... ، حتَّى منَ الحُلمِ.

أَنا شاعرٌ؟! كيفَ أَكونُ هذَا، بعدَ مقولةِ الشَّاعرةِ (فِيسْوافا شِيمبُورِسْكا) هذِهِ: "مَن ذَا الَّذي يَقوى على مُشاهدةِ شَخصٍ يجلسُ إِلى مِنضدةٍ، أَو يَستلقِي على أَريكةٍ مُحْملقًا في الجدارِ أَو السَّقفِ بِلا حركةٍ، إِلى أَن يكتبَ سبعةَ أَبياتٍ لِيحذفَ أَحدَها

بعدَ خَمس عَشرةَ دقيقةَ، ثمَّ تمرُّ سَاعةٌ أُخرى خِلالها لا يحدثُ أيُّ شَيءٍ؟"

أَشعرُ بأنَّني حصانُ شعرٍ ذو صَهيلٍ عالٍ، في جَغرافيا لا حدودَ لها، مكسوَّةٍ بإِبرِ الرَّملِ السَّاخنةِ، والأَعشابِ المأْكولةِ، يهرعُ حافيًا نحوَ حدائقِ الأَسفِ. لقد أَنفقتُ معظمَ سنواتِ ما مضَى من عُمرِي في الشِّعرِ، وفي كلِّ مرَّةٍ أَضعُ فِيها القلمَ/ الرِّيشةَ بعدَ الانتهاءِ من قصيدةٍ وأَفتحُ قبضَتي، لا أَجِدُ فيها حتَّى القليلَ منَ الرِّيح، ورغمَ هذا، فأَنا لا أَستطيعُ أَن أَتخيَّلَ حياتِي دونَ شعرٍ، لهذَا ربَّما (قدْ) أَستمرُّ!

الكفنُ المؤجَّلُ والتَّابوتُ الجميلُ

* نشرت الأعمال الشعرية الكاملة، هل هذا وفاء لعقود مع مصاحبة القصيدة، أم هي سيرة اليد التي ارتعشت مرارًا وتشنجت لتهب القارئ متعة الشعر؟

– هيَ ليستِ الكاملةَ، لأَنَّهُ صدرتْ دونَ العملِ الأَخيرِ الثَّالثِ عَشر "كأَعمى تقودُني قصبةُ النَّأي"، وكذلكَ لا أُحبِّذُ

استعمالَ هذه الكلمة (الكاملة)، بل المُنجَزة، لأَنه ما من أَعمال إبداعية كاملة، حتّى بعدَ الوفاةِ.

لاَ أَعرفُ إن كانَ صدورُها يَعني ما قلتَهُ، فقط، في سؤالِكَ، لأَنَّهُ يكونُ وراءَ إِصدارِها أَسبابٌ عدّةٌ.

كذلكَ هيَ فرصةٌ لمُراجعتِها وتصويبِ الأَخطاءِ الطِّباعيَّة، لكنْ لاَ أَعملُ على تغييرِ أَو تعديلِ أَيِّ شيءٍ، لأَنَّ النَّصَّ، في حينهِ، وُلِدَ على هيئةٍ مَا، ولَو حاولتُ، لَوجدتُني أُعدِّلُ وأَحذفُ وأُضيفُ، و...، وبهذَا أَقضي عليهِ بشكلٍ أَو بآخرَ، وقد لاَ يَخرجُ مرَّةً ثانيةً، وإِن خرجَ، فإِنَّهُ يَخرجُ نصًّا آخرَ، وفي هذَا اعتداءٌ علَى آنيَّةِ كتابتهِ بكلِّ أَشيائِها، حيثُ كنتُ قدَّمتُ لهُ أَقصى مَا استطعتُ من إِمكاناتٍ مختلفةٍ آنَها. حينَ أَشعرُ بأَنَّني انتهيتُ من نصٍّ مَا، تنتابُني حالةٌ منَ الفَقدِ؛ فَقْدِه. لذلكَ أُحاولُ أَن أُبقيه في مَختبَري الشِّعريِّ حتَّى بعدَ انتهائهِ كأَنَّهُ لمْ يزلْ قيدَ الإِنجازِ، ولاَ أَنشرهُ في جهةٍ مَا، حتَّى لو طُلبَ منِّي جَديدِي، إلاَّ بعدَ أَن أَغوصَ في نصٍّ تالٍ، ومُطمئنًا أَنَّهُ قابلٌ للحياةِ.

كنتُ كتبتُ في تصديرِ مجموعتي الشِّعريَّةِ "كتابُ المُنادَى"، تحتَ عُنوان "مَرايا لاَ تتَّسعُ لخُدوشِها": "حينَ تُنشَرُ القصيدةُ

على سطحِ ورقٍ ما، يتحوَّلُ هذَا الورقُ إلى كفنٍ مؤجَّلٍ، وحينَ يَعصرها كتابٌ بينَ لَوْحَيهِ، يتحوَّلُ هذَا الكتابُ إلى تابوتٍ جميلٍ... وأيضًا، حينَ تَبقَى داخلَ زجاجِ المخيلةِ وغرفِ الذَّاكرةِ ولاَ تخرجُ فإنَّها تقتلُ صاحبَها. إذًا.. ماذَا أفعلُ بعبارةِ الشَّاعرِ [هنري ميشو] الَّتي مَا تزالُ تنالُ مِنِّي، بعدَ كلِّ مَا أَشْعرُ أَنَّهُ نهايةُ قصيدةٍ، كأنِّي قاتلُ أَبيهَا: "إنَّ مجرَّدَ التَّفكيرِ بكتابةِ قصيدةٍ يَكفِي لِقَتلِهَا"؟

"شكرًا لموتٍ لمْ يجئْ بعدُ"

* في الذاكرة الشعرية العالمية والكونية يموت الشعراء باكرًا أمثال: رامبو، فروخ فرخزاد، أبو القاسم الشابي...الخ، مقارنة مع كتاب القصة والرواية.. ما تفسيرك في ذلك؟

– كنتُ شعرتُ، بعدَ مشوارٍ قصيرٍ من بِدَاياتي الشِّعريَّةِ، بالموتِ المُبكِّرِ، بعدَ أَن قرأْتُ عن بعضٍ من هؤلاءِ الشُّعراءِ وغيرِهم، وانْتابَتْني حالةُ قَلقٍ وشِبهُ تأْكيدٍ أَنَّني سأَموتُ حينَ بلُوغي الأَربعينَ من العمرِ إذا ظَلَلْتُ أَكتبُ الشِّعرَ!

كـانَ هـذَا هاجـسًا مُقيـمًا في داخِـلي، لِما قبـلَ الأربعـينَ ببـضعةِ سنواتٍ، لدرجةِ أنّني نسيتهُ نهائيًّا، إلى أن فاجأني صَديقي الشَّاعرُ (باسِـم النَّـبريص- أَطلقـتُ عليـهِ لقـبَ "المُعـرِّي الفلـسطينيِّ!" بسببِ أَشعارِه الفكريَّةِ التَّشاؤميَّةِ) بقصيدةٍ منهُ مُهـداةٍ لي بِعنـوان "الأَربعون.. خُذْها ولاَ تخفْ"، فذكَّرني بذاكَ الهاجسِ (مَوتي في الأَربعين)، فاتَّصلتُ بهِ شاكرًا بعدَ اسْتلامِي لقصيدتهِ، وقـالَ لي: إنَّ من عادةِ الشُّعراءِ أَن يكتُبوا (نصَّ الأَربعينَ)، ثمَّ قرأَها بصوتهِ على الهاتفِ، وضحكنَا معًا بعدَها، كأنّنا ضَحِكنا على الموتِ!

بعدَ فترةٍ قصيرةٍ من بُلوغي الأَربعـينَ، وَجـدتُني فجـأَةً أَكتـبُ نصًّا شعريًّا حمَلَ عنوانَ "شكرًا لموتٍ لمْ يَجِئْ بعدُ!"

هل ما زلتَ تريدُ منِّي تفسيرًا لظاهرةِ موتِ الشُّعراءِ المُبكِّرْ؟!

لنْ أَبخلَ عليكَ لَو عَرفتهُ!

كم كنتُ صالحًا للنَّجاةِ لو أَنَّ

* هل من أعمال شعرية وإبداعية قادمة؟

- لا أُخفِي عليكَ أنّني كنـتُ قـرَّرتُ أَن أَعتـزلَ كتابـةَ الـشِّعرِ حيـنَ أَبلـغُ الخمـسينَ مـن العمـرِ، ولقـد بلغتُـه، ونفَّـذتُ قَـراري

احْتجاجًا على ما آلَ إليهِ حالُ الشِّعرِ والشَّاعرِ العربيَّينِ، بعدَ رحلةِ شعرٍ استمرَّتْ أَكثرَ من خمسٍ وثلاثينَ سنةً كانت نتيجتُها قبضَ ريحٍ، وبعدَ أَن كتبتُ نصًّا شعريًّا أَهديتهُ إِليَّ بِعنوان "رذاذٌ جريحُ.. حينَ أَشهقُ عصفورةَ الظِّلِّ" من خمسينَ مقطعًا، تركتُ آخرَ مقطعٍ فيهِ فارغًا، استمرَّتْ كتابتُه أَكثرَ من شهرٍ، وظهرَ في مجموعتي الشِّعريَّةِ الأَخيرةِ "كأَعمى تقودُني قصبةُ النَّأْيِ"، الصَّادرةِ في سنةِ (٢٠٠٨)، أَقتبسُ منَ القصيدةِ ما يدلُّ على قراري:

"كَمْ كُنْتُ صَالِحًا لِلنَّجَاةِ
لَوْ أَنَّ عُرْيَ الْأَمَلِ
لَمْ يُقَشْعِرْ فَجْأَةَ الشِّعْرِ".

"دُخَانٌ سَافِلٌ
وَقَهْوَةٌ عَاهِرَةٌ
يَتَعَاكَسَانِ مُرُورًا فِي قَصَبَةِ الصُّبْحِ".
"إِلَى أَيْنَ تَأْخُذِينَنِي بَعْدُ؟
أَعْطِينِي كَفَافَ حِبْرِي

يَا إِلهَةَ الْبَيَاضِ".

"يَا أَبِي.. يَا أَبِيُّ.. يَا أَبَا حَيَّانَ
لَوْ كُنْتَ شَاعِرًا
لَكَانَتِ النَّارُ أَشْهَى الْأَطْعِمَةِ".

"شَهِدْتُ الْبِدَايَةَ حُبًّا
أَشْهَدُ النِّهَايَةَ كَرْهًا
حِينَ لَمْ أَجِدْ مَنْ يَشْهَدُ لِي".

"كُنْ هُنَاكَ وَكُنْ هُنَا؛
دَائِرِيَّ الانْتِظَارِ
كَخَاتَمٍ مَقْطُوعٍ فِي إِصْبَعٍ مَهْجُورٍ".

"سَأَخْرجُ الْآنَ مِنْ آخَرِي
إِلَى حَيْثُ صَحْوَةِ الْقَلَقِ
وَأَدَعُ لَكِ غِيَابِي".

وكانت صدرتْ أَعمالي الشِّعريَّةُ في ثلاثةِ مجلَّداتٍ في السَّنةِ نفسِها، ومنذُ أكثرَ من سنةٍ ونصفٍ لم أَكتبْ سِوى نصٍّ شِعريٍّ واحدٍ، حيثُ كنتُ، وما زلتُ، أَطردُ أَيَّةَ إِشراقةٍ لأَيَّةِ قصيدةٍ تأْتي، استمرارًا لتنفيذِ قَراري.

لقد وصلَ بي الحالُ إِلى الإِيمانِ بأَنَّ كتابةَ الشِّعرِ عبثٌ، ولا جَدوى منهُ على أَدنى الأَصعدةِ، إِذ لم يَعدْ لهُ أَيُّ أثرٍ في عصرِنا العربيِّ هذَا.

قَراري هذا لم يكنْ أَوَّلَ مرَّةٍ، فقدْ كانت محاولاتٌ سابقةٌ خلالَ مسيرَتي الشِّعريَّةِ، لكنَّني لمْ أَنجحْ في تنفيذِه. أَتذكَّرُ أَنَّني كتبتُ بِهذا الصَّددِ في عَملي الشِّعريِّ "خلفَ قميصٍ نافرٍ" (١٩٩٩)، مُستنجدًا بالشَّاعرِ الذي هجرَ الكتابةَ مبكِّرًا:

"أُرِيدُ أَنْ أَرْتَاحْ...

أُرِيدُ أَنْ...

أُرِيدُ أَنْ... أَسْأَلَكَ:

كَيْفَ فَعَلْتَهَا، مُبَكِّرًا،

يَا (آرْثَرْ رَامْبُو) بِنَجَاحْ؟"

حتَّى هذهِ اللَّحظةِ، ما زلتُ على مَوقفي وقَراري (رغمَ كتابةِ قصيدةٍ واحدةٍ بعدَهُ فقط في سنةِ ٢٠٠٩)، ولستُ أَدري ماذا سيحدثُ في الآتي قبلَ أَن يُدركَني الموتُ؟!

علَى الموتِ أَن ينتظرَ

* أخيرًا.. هل تخاف من الموت؟

- لا..لا.. لمْ أَخفْ في يومٍ ما منهُ. لمَ الخوفُ من حقيقةٍ نعرِفُها وتُدرِكُنا؟

ما يُقلِقني هوَ المرضُ بعدَ أَن أُصِبتِ بالقلبِ (يُقالُ إِنَّهُ مرضُ الشُّعراءِ)، لأَنَّني أَخشى منهُ على تعطيلِ حيَاتي، أَو جَعْلِها بطيئةً، وأَنا ما زلتُ بحاجةٍ إِلى وقتٍ كثيرٍ كيْ أُنجزَ الكثيرَ منَ الأَشياءِ ما زالتْ بانتظارِ تفرُّغي لَهَا.

أَنا أَتوقَّعهُ دائمًا، لكنَّني لاَ أَنتظرهُ، ولاَ أُفكِّرُ فيهِ، كيْ لا يُربِكَ انتظارِي لهُ وتَفكيري فيهِ، ما تبقَّى لي من عُمري.

رسالتان
إلى القصيدة والشاعر

من محمد حلمي الريشة

الْقَصِيدَةُ؛
صَدَقَةُ الْغَيْظِ فِي يَدِ المَوْتِ

.١

أَيَّتُهَا الْقَصِيدَةُ..

لَا تَتْرُكِي الشَّاعِرَ يَكُونُكِ ثَمَرَةً عَلَى شَجَرَةٍ دُونَ قِطَافٍ.

.٢

لِأَنَّكِ غَيْرُ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ،

تَظَلِّينَ تَنْتَظِرِينَ يَدًا عَارِفَةً

مَذَاقَ عَيْنِهَا الثَّالِثَةِ.

.٣

لِأَنَّكِ تَعُودِينَ الشَّاعِرَ، كُلَّ مَرَّةٍ، بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.. يُحَاوِلُكِ حِبْرُهُ مِنْ جَدِيدٍ.

.٤

لِأَنَّكِ تُخْفِينَ دَهْشَةَ المَعْنَى بَيْنَ فَرَاغَاتِ كَلِمَاتِكِ،

يَخِزُ الشَّاعِرَ عَصْفُ الْقَارِئِ غَيْرِ المُتَمَرِّسِ بِكِ.

.٥

تَجْعَلِينَ الشَّاعِرَ، أَوَّلًا، وَرَقَةً خَضْرَاءَ،

ثُمَّ صَفْرَاءَ،

ثُمَّ مَتْنًا بَيْنَ دَفَّتَيْ سِفْرٍ،

ثُمَّ لَا يَجِدُ أَنَاهُ حَتَّى فِي هَوَامِشِهِ.

.٦

تَأْخُذِينَ الشَّاعِرَ مِنْ زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ،

لِيَلِدَكِ بَعْدَ حَرَكَاتٍ شِبْهِ عَابِثَةٍ،

فَدُخُولٍ مَرِيضٍ،
فَيَتِيمٍ عَلَى صَفْحَةِ الْحَيَاةِ.

.٧

كَيْفَ يُسَافِرُ الشَّاعِرُ فِيكِ،
وَلَا يَصِلُكَ أَبَدًا؟

.٨

يَدَعُ الشَّاعِرُ كُلَّ شَيْءٍ لِأَجْلِكِ إِلَّاكِ..
ذَكِيَّةٌ أَنْتِ فِي اجْتِذَابِ لَا وَعْيِهِ نَحْوَكِ طَائِعًا لِانْخِطَافِهِ/ مُنْصِتًا
لِأُوَارِ صَمْتِكِ يَضِجُّ بَيْنَ خَلَايَاهُ.

.٩

تُشْبِهِينَ الْحُبَّ جَيِّدًا؛
قَلَقُ الْقَلْبِ..
تَوَتُّرُ الرُّوحِ..
رَجْفَةُ الْجَسَدِ..

خَوْفُ الْغِيَابِ..

سَهَرُ الظَّنِّ..

هَزَّةُ الشَّكِّ..

نَظْرَةُ الْغَيْرَةِ..

مَلَلُ الأَمَلِ..

أَلَسْتِ مَنْ عَلَّمَ الشَّاعِرَ

- أَوَّلَ الْكَائِنَاتِ الْجَمِيلَةِ-

هذَا الْمُعْجَمَ؟

.١٠

تَقْصِفِينَ أَنْفَاسَ الشَّاعِرِ،

كَأَنَّهَا أَعْمِدَةُ سَنَابِلَ،

بَحْثًا عَنْ عُشْبَةِ الْخُلُودِ،

رَغْمَ أَنَّهُ يَقْتَنِعُ بِوَرْدَةِ الْفَرَحِ.

.١١

تُغَيِّرِينَ كُلِّيَّةَ الشَّاعِرِ بِقَسْوَةِ حُنُوِّكِ،

وَلَا تَسْتَطِيعِينَ بِلَمْسَةِ سِحْرِكِ تَغْيِيرَ نِصْفِيَّةِ الْقَارِئِ؛
عَقْلِ قَلْبِهِ.

.١٢

يُطْلِقُكِ الشَّاعِرُ مِنْ قَفَصِ رُوحِهِ،
بَعْدَ أَنْ يَشْعُرَ أَنَّكِ انْتَهَيْتِ لَا اكْتَمَلْتِ..
لَوِ اكْتَمَلْتِ
لَاكْتَمَلَ انْتِهَاؤُهُ.

.١٣

يُقَامِرُ الشَّاعِرُ حَتَّى عَلَى خَسَارَةِ الْحَيَاةِ..
أَنْتِ تُرَاهِنِينَ عَلَى كَسْبِ خَسَارَتِهِ.

.١٤

لَكِ هَبَّةٌ غَامِضَةٌ تُذِيبُ وَعْيَ الشَّاعِرِ
فِي غَيْبُوبَةِ الْمَجْهُولِ.

.١٥

يَمُدُّ الشَّاعِرُ يَدَهُ الثَّالِثَةَ نَحْوَ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ لِلْمَوْتِ

كَيْ يَضَعَ فِيهَا صَدَقَةَ الْغَيْظِ.

.١٦

بَاحِثًا عَنْ مَدَارِكِ الْجَمَالِ،

يَسْتَعِرُ الشَّاعِرُ فِي مَسِيرَتِهِ تَحْتَ

شَمْسِ الْعَادِيِّ.

.١٧

تَهَبِينَ الشَّاعِرَ ذَاتَكِ بِأُلْفَةٍ وَحْشِيَّةٍ،

فَتُشَاكِسِينَ نِظَامَ يَقَظَتِهِ وَعَيْنَ غَفْوَتِهِ..

كَمْ أَنْتِ بِهَذَا بَاذِخَةُ الْوَجَعِ.

.١٨

تَخْشَيْنَ الْعَوْلَمَةَ؟

الشَّاعِرُ الْحُرُّ يَتَعَوْلَمُ مَعَكِ وَبِكِ، أَيْضًا.

.١٩

لَنْ تَكُونِي بِدُونِ عَاطِفَةِ الشَّاعِرِ اللُّغَوِيَّةِ..

كُلُّ ذَاكَ الرُّكَامِ الجَافِّ لَيْسَ أَنْتِ،

مَهْمَا نَزَفَتْ قَدَاسَةُ الْفِكْرَةِ..

السَّيْفُ لِلشَّرِّ، وَالطَّيْفُ لِلشِّعْرِ.

.٢٠

يَشْدُوكِ الشَّاعِرُ عَلَى فَنَنِ وَحْدَتِهِ..

يُنْشِدُكِ أَمَامَ جُمْهُورٍ غَائِبٍ..

تُنَاشِدِينَهُ أَنْ يُشَفِّفَ لَذَاذَةَ غُمُوضِهِ أَكْثَرَ.

.٢١

أَنْتِ الطُّعْمُ الَّذِي يَهْبِطُ وَيَعْلُو

أَمَامَ بَصِيرَةَ الشَّاعِرِ فِي عَمِيقِ قَلْبِهِ،

فَلَا هُوَ يُصْطَادُ،

وَلَا أَنْتِ تُشْبِعِينَهُ.

.٢٢

كُونِي جَمَالَ كُلِّ شَيْءٍ..

لَا يَكُونُ الشَّاعِرُ خَارِجَ هذَا التَّأَلُّقِ أَيَّ شَيْءٍ.

.٢٣

تَتَشَابَكُ كَلِمَاتُكِ حَلَقَةً حَلَقَةً..

الشَّاعِرُ الْحَقِيقِيُّ يُدْرِكُ أَنَّهَا أَصْفَادُ حُرِّيَّتِهِ.

.٢٤

اسْتَمِرِّي فِي جُمُوحِكِ..

لَنْ يَعْتَلِيَ صَهْوَةَ قَوْسِكِ النَّارِيِّ

إِلَّا الشَّاعِرُ السَّهْمُ.

.٢٥

تَتَقَطَّرِينَ فِي حَلْقِ الشَّاعِرِ الْفَرَاشَةِ

عَمَاءَ لَهْفَةٍ

لِعَطَشِهِ لِلضَّوْءِ.

.٢٦

يَعْرِفُ الشَّاعِرُ أَنْ يَنْزِلَ مَجْرَاكِ،

وَلَا يَعْرِفُ أَيْنَ مَرْسَاكِ..

هكَذَا تَمْضِينَ فِي مَاءِ جَمَالِكِ

إِلَى أَبَدِيَّتِهِ.

.٢٧

لَا تَكُفِّي عَنْ فِتْنَةِ الشَّاعِرِ..

لَقَدْ ضَلَّ صَاحِبُكِ وَغَوَى،

فَهَوَى عَالِيًا إِلَى سَرِيرِكِ النَّجْمِيِّ.

.٢٨

أَيَّتُهَا الْقَصِيدَةُ الْأَبْجَدِيَّةُ..

أَيُّهَا الشَّاعِرُ التِّلْمِيذُ..

أَيُّهَا الشِّعْرُ الْبَحْرُ.

الشَاعِرُ وَالْـ(حَبِيبَتُهُ) الْعَالِقَةُ
بِدِبْقِ نَجْمَةِ الْمَجَازِ

.١

أَيُّهَا الشَّاعِرُ:

لِمَ تُصِرُّ عَلَى انْتِظَارِ الْآتِيَةِ/ ارْتِكَابِ التَّالِيَةِ؟

أَلَمْ تَتَعَلَّمْ أَنَّهَا نَدَّاهَةٌ فِي بَرِّيَّةٍ تَشَّاسَعُ دَائِرَةً حَوْلَكَ؟

.٢

(أُحِبُّكَ)..

أَقُولُهَا لَكَ عَابِرَةً إِيَّاكَ نَحْوَ عُنْوَانِهَا الطَّائِشِ

فِي شِغَافِ الْقَلْبِ.

.٣

هِيَ وَحْيٌ؟ إِلْهَامٌ؟

لَا..

أَنْتَ تَشْعُرُهَا..

أَنَا أَرَاهَا أَكْثَرَ مِنْكَ:

هِيَ لِسَانُ احْتِرَاقِكَ خَارِجًا مِنْكَ/

مِنْ فَمِ الرُّوحِ.

.٤

أُشْفِقُ عَلَيْكَ..

تَضْرِبُ الْبَحْرَ بِفَأْسِ الْمُخَيَّلَةِ..

كَيْفَ لَا تَرَاهَا مَطْعُونًا بِهَا؟

.٥

أُخْرُجْ مِنْكَ..

إِنَّكَ الطِّفْلُ الَّذِي يَنْدَهُ عُصْفُورًا طَازَجًا

عَلَى شَجَرَةٍ ضَجِرَةٍ.

.٦

تَحْمِلُ شِرَاعَ الضَّوْءِ فَوْقَ جَبِينِكَ وَلَا تَرَاهُ،

وَتُبْحِرُ فِي جَدَاوِلِ الدُّنْيَا وَلَا تَرْتَوِي،

وَتَفْلِقُ فَاكِهَةَ الدَّهْشَةِ وَلَا تَشْبَعُ،

وَتَحْيَا عُمْرَكَ الْآتِي وَلَا تَحْيَاهُ.

.٧

تَفْعَلُ سُدُولُ اللَّيْلِ بِكَ مَا تَشَاءُ..

يَتَنَفَّسُ الصُّبْحُ رِئَتَكَ،

وَيَتْرُكُكَ فِي آخِرِ أُكْسِيدِ النُّعَاسِ..

تَتَمَطَّى يَدَاكَ،

وَتَعُودُكَ تَرْتَجِفُ كَأَنْ مَسَّتْهُمَا كَهْرَبَاءٌ قَلِقَةٌ،

فَتَجْرَحُ تَثَاقُلَ نَافِذَتَيْ عَيْنَيْكَ الْمُبْرَحَتَيْنِ..

تُحَاوِلُ قَرَاءَةَ اللَّوْنِ الْوَحْشِيِّ،

الَّذِي انْسَكَبَ مِنْكَ كَعُصَارَةِ رَمَادِ رِيحٍ..

يَاااه..

مَن يُدْرِكُ مَن؛ هِيَ أَمْ أَنْتَ؟

.٨

أَغْبِطُكَ جِدًّا لَمَّا تَنْدَهُهَا..

أَتَمَنَّانِي أَنَا..

لكِنْ؛

كَمْ أَحْزَنُ حِينَ أَجِدُهَا غَرِيبَةَ غَابَةٍ عَمْيَاءَ بِدُونِكَ..

تَعَالَ..

خُذْنَا ثَلَاثَتَنَا مَعًا.

.٩

لِأُغَنِّيكَ، أَيْضًا، أَنَا:

أَيَّتُهَا الْـ(حَبِيبَتُهُ) الْعَالِقَةُ بِدِبْقِ نَجْمَةِ المَجَازِ..

اِهْبِطِيهِ بِفُيُوضِكِ أَكْثَرَ..

أَنْزِلِي سُلَّمَ شُعَاعِكِ كَيْ يَصْعَدَكِ إِلَيْهِ.:

أَوْ/

اِرْفَعِيهِ إِلَيْكِ بِلِبْلَابَةِ التَّوْقِ مِنْ طَوْقِ غَرَقِهِ فِيكِ.

.١٠

مِنْ مَعْلُومٍ مَهُولٍ إِلَى مَجْهُولٍ مُؤْلِمٍ تَسِيرُ..

تُعَرِّي المَوْجَ كَيْ تَغْسِلَ عَرُوسَ الْبَحْرِ..

تُقَشِّرُ الزَّبَدَ بَحْثًا عَنْ لُؤْلُؤَةِ الشِّعْرِ..

تُقِيمُ عَمُودَ رَمْلٍ، بِرُطُوبَةِ جُنُونِكَ، مَنَارَةً لِهُدَاكَ..

كَمْ تَضِلُّ وَتَشْقَى؟

.١١

لَا تَبْحَثْ عَن قَارِئِكَ..

عَنْ نَاقِدِكَ..

هُمَا فِيكَ إِنْ لَمْ يَكُونَا أَنْتَ.

.١٢

تَجِيئُكَ الْفُصُولُ..

تَمُرُّكَ الأَمْكِنَةُ..

لَسْتَ زَمَانِيًّا..

لَسْتَ مَكَانِيًّا..

لَسْتَ فِيهَا.

.١٣

تَنْدَهُنَا وَلَا نَسْمَعُكَ..

تُبْصِرُنَا وَلَا نَرَاكَ..

تَلْمَسُنَا وَلَا نُحِسُّكَ..

تَشْتَمُّنَا وَلَا نُعَبِّقُكَ..

تَتَذَوَّقُنَا وَلَا نَسْتَطِيبُكَ..

فِي حَاسَّتِكَ السَّادِسَةِ تُقِيمُ.

.١٤

لَا يُحْزِنُكَ ضَعِيفُ الْمَوْهِبَةِ..

فَقِيرُ اللُّغَةِ..

قَلِيلُ الْحِيلَةِ،

وَ...

لَا مَنَاصَ لِلْمُنَافِقِ الْوَاهِمِ..

لِلنَّرْجِسِيِّ الْمَرِيْضِ..

لِرَاكِبِ الْقَصِيدَةِ لَا حَامِلِهَا أَمَامَهُ.. لِـ...
سِوَى أَنْ يَزُولَ حَتَّى عَنْ كَعْبِ قَدَمِهَا.

.١٥

مَا أَكْثَرَ طَوَاوِيسَ الشِّعْرِ؛
شَكْلٌ أَنِيقٌ وَصَوْتٌ نَكِرَةٌ.

.١٦

بَعْضُهُمْ يُقِيمُونَ فِي أَبْرَاجٍ عَالِيَةٍ وَلَا تُعْلِيهِمْ..
يَفْتَرِشُونَ الْحَرِيرَ الْمَسْرُوقَ وَلَا يُرِيحُهُمْ..
يَكْتُبُونَ لِصَيْدِ الْفَرَائِسِ وَلَا تُشْبِعُهُمْ..
أُشْكُرِ اللهَ أَنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ.

.١٧

كَأَنَّكَ تُقَدِّمُكَ قُرْبَانًا لِآلِهَةِ الْفَرَاغِ..
كَأَنَّكَ تَفْرُكُ غِيَابَ عَيْنِ الشَّمْسِ بِفُلْفُلِ الانْتِبَاهِ..
كَأَنَّكَ تَزْرَعُ رَائِحَةَ الْحِبْرِ فِي رَاحَةِ الضَّوْءِ..

.١٨

مَسَاحَاتٌ بَيْضَاءُ تَمْتَدُّ أَمَامَكَ؛
لَا رَصِيفَ لَهَا وَلَا ظِلَّ..
وَحْدَكَ تَطْوِي،
وَتَطْوِيكَ الْكَلِمَاتُ،
بِسَاقِ الْيَرَاعِ الَّتِي تَنِزُّ سَوَادَ احْتِكَاكِ الْخُطَى.

.١٩

"عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا لَيْسَتْ سِوَى أَنْفَاسٍ،
فَإِنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنِّي أَبَدِيَّةٌ"..
وَ...
"عِنْدَمَا تَمُرُّ أَيُّهَا الْغَرِيبُ عَلَى الْمَقَابِرِ،
لَا تَقُلْ إِنَّنِي شَاعِرَةٌ مَيِّتَةٌ مِنْ (ميتيلين)،
فَالْأَيْدِي الْبَشَرِيَّةُ قَدْ بَنَتْ هذَا وَأَعْمَالُ الْبَشَرِ تَتَلَاشَى،
لكِنْ إِذَا حَكَمْتُمْ عَلَيَّ مِنْ قِبَلِ الْمُوزَاتِ التِّسْعَ،

وَالَّتِي أَعْطَيْتُ كُلًّا مُنْهُنَّ زَهْرَةً،

تُدْرِكُونَ تَمَامًا أَنَّنِي قَدْ هَرَبْتُ مِنْ كَآبَةِ عَالَمِ الْمَوْتَى،

وَلَنْ يُشْرِقَ يَوْمٌ أَبَدًا دُونَ أَنْ يُذْكَرَ فِيهِ

اسْمُ سَافُو الشَّاعِرَةِ الْغِنَائِيَّةِ"..

كَمْ تَوَقَّفْتُ أَمَامَ شَاهِدَةِ الشَّاعِرَةِ سَافُو (٦١٠-٥٨٠ ق.م) كَيْ

أُطِيلَ نَظَرَ الْإِنْصَاتِ إِلَيْكَ.

.٢٠

يَذْهَبُ بِكَ حَاضِرُ الْغِيَابِ إِلَى غِيَابِ الْحَاضِرِ..

ثَمَّةَ سَكِينَةٌ غَيْرُ مُطْمَئِنَّةٍ لِجَدْوَاهَا..

قَاسٍ هُوَ النَّوْمُ فِي اسْتِيقَاظِ الْغَبَشِ..

تَحَسَّسْ خُيُوطَ الْمِرْآةِ الَّتِي تَتَجَدْوَلُ حَرِيرَ أَبَدٍ..

مِنْ دَوِيِّ صَمْتِكَ يَنْبَلِجُ صَوْتُ الْقَصِيدَةِ.

.٢١

هَاوِيَاتٌ تَتَلَاقَفُكَ بِأَيْدِي تَوَائِمِهَا..

أَعْرِفُكَ تُتْقِنُ الطَّيَرَانَ بَيْنَهَا وَلَا تَأْسِرُكَ..

سَتَهْبِطُ فَوْقَ فِرَاشِ فَرَحٍ فِي فَضَاءِ فُسْحَةِ اللَّامِ..
تَحْضِنُكَ حُرُوفُ الْأَلِفِ..
تَحْتَفِيكَ بِبَلَلِ تَوْأَمَيِّ الْمِيمِ.

.٢٢

أُفُقِيًّا..

عَمُودِيًّا..

صَلْبًا..

طَرِيًّا..

يَنْشُرُكَ الشِّعْرُ فِي فِرْدَوْسِ الْغِبْطَةِ الْمُخَاتِلِ..
تَكْظِمُ جَذْوَةَ جُذُورِ الدَّمْعِ..
تَعْبُرُ مِنَ ارْتِطَامِ أَنِينِ الطُّرُقَاتِ بِكَ.

.٢٣

يَا أَوَّلَ الْحُرُوفِ/ آخِرَهَا..
يَا أَوَّلَ الْحُبِّ/ احْتِرَافَهُ..
يَا أَوَّلَ الْحُرِّيَّةِ/ أَسِيرَهَا..

.٢٤

"نَحْنُ لَا نُنْهِي الْقَصِيدَةَ، بَلْ نَتَخَلَّى عَنْهَا"..

(بُول فَالِيرِي)

نَحْنُ لَا نَتَخَلَّى عَنْكُمَا.

.٢٥

تَوَارَ كَثِيرًا..

الْعُزْلَةُ تُبْهِجُ الْإِبْدَاعَ لِيُظْهِرَكَ.

.٢٦

"كُلُّ امْرِئٍ يُصْبِحُ شَاعِرًا إِذَا مَسَّهُ الْحُبُّ".. (أَفْلَاطُون)

كُلُّ امْرِئٍ مَسَّهُ الشِّعْرُ يُصْبِحُ مُحِبًّا.

.٢٧

"بَحْلَمْ وُبْضَلْ شَهْرْ/ بَالِي مَشْغُولْ

بِطْلَعْ لِي قُولْ شِعْرْ/ مَا بَعْرِف قُولْ".. (فَيْرُوز)

نَعْرِفُ نُنْصِتُ إِلَيْكَ بِذُهُولْ.

.٢٨

كَثِيرٌ هُوَ الْحُلُمُ..

غَزِيرٌ هُوَ الْأَمَلُ..

كَبِيرَةٌ هِيَ الْفِتْنَةُ..

عَسِيرَةٌ هِيَ الْأَسْئِلَةُ..

لَا تُفَسِّرْ شَفِيفَ حِجَابِكَ..

دَعِ الْحُبَّ يَدُلُّنَا عَلَيْكَ.

مختارات شعرية

رَذَاذٌ جَرِيحٌ
حِينَ أَشْهَقُ عُصْفُورَةَ الظِّلِّ

(إِلَى مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة)

٠١

الْعُمْرُ وَرْدَةٌ وَحْشِيَّةٌ
لَمْ أَزَلْ أُفَتِّتُ أَوْرَاقَهَا
بَحْثًا عَنْ رَائِحَتِي.

٠٢

الْجَسَدُ جُرْحٌ عُضَالٌ
أَرْمِي فِيهِ بِهَارًا لِدَمِي
فَيُوقِظُ مَاءَ الْغَيْبُوبَةِ.

٠٣

كَمْ كُنْتُ صَالِحًا لِلنَّجَاةِ

لَوْ أَنَّ عُرْيَ الْأَمَلِ

لَمْ يُقَشْعِرْ فَجْأَةَ الشِّعْرِ.

٠٤

لِي قَلْبُ فَرَاشَةٍ

تَنْتَهِكُ لُعَابَ الضَّوْءِ

بِلِسَانِ جَرَاءَتِهِ لِلجُنُونِ.

٠٥

أَدَعُ الرُّوحَ فِي غَيْبِهَا

وَأُطْلِقُ غَيِّي

لِجَسَارَةِ شِفَاهِ الْحُلُمِ.

٠٦

سَاقَانِ مِنْ غَسَقٍ لِلْقَصِيدَةِ

زَائِغَتَانِ لِأَعْلَى
كَيْ تُهْبِطَ نُجُومَ إِيقَاعِي.

٠٧

بِطَلَاقَةِ خَصْرِهَا
أَمُدُّ عُشْبَ النَّشِيدِ
لِأَبْتَكِرَ، كُلَّ مَرَّةٍ، رَقْصَتِي.

٠٨

مَا مِنْ حِضْنٍ لِي
أَبْهَى وَلَا أَشْهَى
مِنْ بَيْتِ شِعْرٍ شَقِيٍّ.

٠٩

مَا مِنْ نَهْدٍ كَرِيمٍ
يَرْتَعُنِي/ يَرْضَعُ سُحُبَ نَثْرِي
مِنْ مُعَلَّقَةٍ فَتَّانَةٍ تَتَدَلَّى.

١٠

دُخَانٌ سَافِلٌ

وَقَهْوَةٌ عَاهِرَةٌ

يَتَعَاكَسَانِ مُرُورًا فِي قَصَبَةِ الصُّبْحِ.

١١

بِكُلِّ أَسَفٍ مَرِيضٍ

أُسَامِحُ أَسَفَ الْغِيَابِ

فِي نُضْجِ قُبْلَةِ خُبْثِهَا.

١٢

غُبَارُ كَرْمَتِهَا المَرِحُ

يَطْرِفُ عَيْنَ قِنْدِيلِ نَوْمِي

وَيُمَلِّحُ بِئْرَ نُعَاسِي.

١٣

يَا ابْنَةَ النَّحْلَةِ

يَا ابْنَةَ الْعَنْكَبُوتِ

يَا ابْنَتِي النَّشِيدَةْ.

١٤

لَا أَبْرَحُ شَجَرَةَ المَخْيَلَةِ؛

لَذَّةٌ تَرْتَدُّ إِلَى عُشِّ الشَّمْسِ

حِيْنَ أَشْهَقُ عُصْفُورَةَ الظِّلِّ.

١٥

إِلَى أَيْنَ تَأْخُذِينَنِي بَعْدُ؟

أَعْطِينِي كَفَافَ حِبْرِي

يَا إِلهَةَ الْبَيَاضِ.

١٦

كَشَاعِرِ نَرْدٍ؛

مَا زِلْتُ أَبْحَثُ عَنِ الْوَجْهِ السَّابعِ

فِي حَجَرِ الْقَصِيدَةِ/ فِي رَمْيَةِ "مَالَارْمِيهْ".

١٧

يَا أَبِي.. يَا أَبِيَّ.. يَا أَبَا حَيَّانَ

لَوْ كُنْتَ شَاعِرًا

لَكَانَتِ النَّارُ أَشْهَى الْأَطْعِمَةِ.

١٨

فِي الْأَرْبَعِينَ:

"وَرْدَةٌ وَاحِدَةٌ فِي إِنَاءَيْنْ

أَنَا.. أَيْنْ؟"

١٩

بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ:

"أَمُدُّ جَنَاحَيَّ.. أُحَرِّكُ هَوَائِيَ..

لَمْ تَعُدِ الْأَرْضُ تُشْبِهُنِي".

٢٠

رَحِيقٌ.. حَرِيقٌ؛

لَنْ تَتْلَفَ أَرْدَافُ الْوَرْدَةِ
لَوْ أَنَّ الْحُرُوفَ لَا تُغَيِّرُ مَقَاعِدَهَا أَبَدًا.

٢١

شَهِدْتُ الْبِدَايَةَ حُبًّا
أَشْهَدُ النِّهَايَةَ كَرْهًا
حِينَ لَمْ أَجِدْ مَنْ يَشْهَدُ لِي.

٢٢

أَعْرِفُنِي مَاضٍ إِلَى عُنُقِ الزُّجَاجَةِ
دُونَ أَمَلٍ بِافْتِضَاحِ رَحْمِهَا
أَيَّتُهَا الْحُرِّيَّةُ الْمُؤَدَّبَةُ.

٢٣

يَنْدَهُ الْقَبْرُ عَلَيَّ
مُنْذُ تَبَرْعُمِي
لِيَقْطِفَنِي وَلَوْ ثَمَرَةً نَيِّئَةً.

٢٤

مِرَارًا قَبْلَ تَنَفُّسِ رَغْبَةِ الصُّبْحِ
تَأْتِينِي بِسَهْلِ فَرَاغِهَا
إِذْ يَكُونُ حَارِثُهُ خَارِجَ جَاذِبِيَّتِهَا.

٢٥

فَاضَ، مَرَّةً، عَنْ حَاجَتِهِ إِلَيَّ
فَأَغْرَقَتْنِي بُقْعَةٌ بِلَوْنٍ حَامِضٍ
تَكَوَّرَتْ مَا بَيْنَ عَيْنٍ وَأَنْفٍ.

٢٦

أُزْجِي لَهَا حَتَّى كُلَّ شَيْءٍ عَصِيٍّ
كَيْ تُشِعَّ لَأْلَاءَةً
تَحْتَ دِثَارِي.

٢٧

بِمِزَاجِ السَّرِيرِ وَخَفِيضِ الاسْتِرْخَاءِ

خَطَّأَتْنِي الْـ(هِيَ)
وَلَمْ يُؤْثَمْ مَجَازِي.

٢٨

قُلْ: إِنَّهُ لَعْنَةُ الَمكِيدَةِ
مِنْ دَاءِ ارْتِقَاءِ الْجَمَالِ
لِأَنَّنِي آخَرِي.

٢٩

كَكَمْشَةِ ظِبَاءٍ عَلَى ضِفَّةِ نَحْرٍ
يَصْطَفُّ عُلُوِّي شَقْوَةً
بِعَاجِ كَعْبَيْهِ.

٣٠

خَارِجَ السِّرْبِ أَمْ دَاخِلَهُ
تَصْطَفِينِي إِلَيْهَا مُنْذُ الْبَدْءِ
طَائِرَ اخْتِلَافٍ.

٣١

"أَيُّهَا النَّاسِكُ الشِّعْرِيُّ"

نَادَتْنِي غَدًا

مِنْ شُرْفَةِ الْأَمْسِ.

٣٢

بَصَمَاتُ الْحَوَاسِّ عَلَى أَضْلَاعِ الْمَدَى

شَهَوَاتٌ مُؤَجَّلَةٌ فِي شُرُودِ الْحَنِينِ..

وَحِيدًا أُرَتِّقُ فِخَاخَ الْأَمَلِ.

٣٣

أَتَأَمَّلُ أَيَّ شَيْءٍ شَهِيٍّ

غَاضًّا الطَّرْفَ عَنْ مَهَابَةِ الشُّبُهَاتِ

لِأَصْنَعَ رَوْنَقَهَا الْبَلِيغَ.

٣٤

وِسَادَةٌ بِسُمْكِ بَطْنِ فَرَاشَةٍ

أَرَقُّ مِنْ وِسَادَةٍ مَنْفُوخَةٍ وَهْمًا..
هكَذَا عَلَّمَنِي الْجَاهِلِيُّونَ الْجُدُدُ، أَيْضًا.

٣٥

تَعَالَيْ بِارْتِعَاشَاتِكِ النَّافِرَةِ
يَا زَنَابِقَ الرَّمْلِ
فَأَسْكُبُنِي إِلَيْكِ سُلَّمَ خَدَرٍ بَلِيلٍ.

٣٦

"مَنْ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيئَةٍ"
فَلْيَرْمِ مَهْدَ الْخِيَانَةِ بِحَجَرٍ كَرِيمٍ
لِيَشُجَّ رَأْسِي.

٣٧

رُبَّمَا وَصَلْنَا حَافَّةَ التَّلَاشِي
حِينَ بَلَغْتِ بِي أَيَّتُهَا الْهَاوِيَةُ
قِمَّةَ عَرْشِ الْخَطَايَا.

٣٨

كَأَنَّنَا فِي انْفِلَاقِ الطَّرِيقِ الرَّهِيفِ

إِلَى مُنْعَطَفِ الذِّكْرَى

أَيُّهَا الْأَلَمُ النَّبِيلُ.

٣٩

: اِذْهَبْ بِعُنْفُوَانِ طَيْفِكَ الْمُشْتَهَى

بَعِيدًا عَنْ سُقُوطِي كَثَمَرَةٍ ضَعِيفَةٍ

فِي سَلَّةِ الْفِتْنَةِ.

٤٠

كُنْ هُنَاكَ وَكُنْ هُنَا؛

دَائِرِيَّ الانْتِظَارِ

كَخَاتَمٍ مَقْطُوعٍ فِي إِصْبَعٍ مَهْجُورٍ.

٤١

مُعْجَزٌ بِكِ لُغَتِي؛

تُنْشِدِينَنِي مَتْنَ أُرْجُوحَةِ الْكَلَامِ
بِهَامِشِ حَيْلِي الْوَاحِدِ.

٤٢

لَا أُوَدِّعُكِ..
فَقَطْ تَغَيَّرَتْ صَهْبَاءُ الصَّوْتِ
إِذْ تَعَكَّرَ صَدَى نَبِيذِي فِي كَأْسِكِ الْمُخْتَلَطِ.

٤٣

تحَلَّقْتُ حَوْلَكِ
تَشَعْشَعْتُ فِيكِ
تَتَوَّجْتُ أَنْفَاسَكِ بِإِهْرَاقِ دُونِي.

٤٤

إِلَى أَيْنَ بَعْدُ؟
كَأَنَّنَا وَصَلْنَا إِلَى حَيْثُ لَا نَلْتَقِي
وَكَأَنَّ سُؤَالَ السُّؤَالِ جَوَابٌ.

٤٥

رَذَاذٌ جَرِيحٌ مِنْ شَاهِقِهِ يَثْغُو

دُمُوعٌ جَافَّةٌ فِي اخْتِلَالِ نَجْمَةِ اللَّيْلِ

وَمَصْقُولًا دَمِي يَنْحَرُ ضُلُوعَهُ بِإِتْقَانٍ.

٤٦

تَعَوَّدْتِ نَارَكِ تَقْتَاتُ حُلُمِي

مَحْوَ مَاءِ كَلَامِي الْخَفِيضِ

وَقَدْ كُنْتُنِي فِيكِ مُنْذُ أَوَّلِ السَّطْرِ.

٤٧

أَخْطِفُ مِنْكِ مِنِّي

كَيْ لَا يُصَابَ الْقَلْبُ

بِأَيَّةِ لَذَّةٍ لِلسُّوءِ.

٤٨

لَمْ تَزَلْ فِي فَمِي غَيْمَةٌ

وَعَلَى رُؤُوسِ أَصَابِعِي مَطَرُهَا
وَتَحْتَ قَلْبِي كُرَّاسَةٌ عَذْرَاءُ تَحُكُّهُ خِصْبًا.

٤٩

سَأَخْرِجُ الْآنَ مِنْ آخَرِي
إِلَى حَيْثُ صَحْوَةِ الْقَلَقِ
وَأَدَعُ لَكِ غِيَابِي.

٥٠

....

....

.....

(من: كأَعمى تقودُني قصبةُ النَّأي، ٢٠٠٨)

حَوَاسّ

كُلَّمَا..

وَقَعَ الصَّمْتُ حَوْلِي

كُلَّمَا..

تَحَسَّسَتْ أُذُنِي وَقْعَ خُطُوَاتِكِ الْقَادِمَةِ.

لِسَانُكِ الْعُصْفُورُ

الَّذِي نَقَّرَ صَوْتُهُ غِشَاءَ حُلُمِي

قَدِرَ أَنْ يَهْتِكَهُ بِحَنَانٍ.

حِينَ، فُجْأَةً، بِالْبَابِ أَنْتِ
لَمْ يَسْتَطِعْ سِوَى
أَنْ يُسَلِّمَ إِطَارَهُ لِيَدَيْكِ الْجَانِحَتَيْنِ
وَيَمْضِي بِزَوَايَاهُ يَغْبِطُنِي.

كَمْ كُنْتِ عَلَى صَوَابِ الْقَلْبِ
حِينَ خَطَّأْتِ سَاعَةَ الشُّرْفَةِ الْعَاشِرَةِ
سَبَقْتِ عِنَاقَ عَقَارِبِهَا لِعِنَاقِنَا
بِسَاعَةِ رُوحِكِ الرَّشِيقَةِ
مِثْلَ أَيْلٍ
يَ تَ وَ اثَ بُ
فَوْقَ
طَمْيِ انْتِظَارِي
دُونَ
أَنْ يَتْرُكَ أَثَرًا.

هَذِهِ الْفُجَاءَةِ أَكْثَرُ مِنْ رَوْنَقٍ

يَنْحَنِي

لَكِ..

لِي..

لَنَا..

لِأَجْلِ

تَقَوُّسِ

هُتَافَاتِنَا

مِثْلَ تَفَتُّحِ قُبْلَةٍ عَاجِلَةٍ.

إِشْرَاقُ وَجْهِكِ كَانَ مِرْآتِي

نَظَرْتُ فِيهَا بِعَيْنَيْنِ

مِنْ أَمَلَيْنِ لِأَرَانِي..

فَكُنْتِ أَنْتِ.

لَيْسَ شَهْدًا، فَقَطْ،

مَا يُضِيءُ شَفَتَيْكِ؛

إِنَّهُ ذَوَبَانُ كَوْكَبِ الشَّوْقِ.

أَمَامَكِ أَمَامِي، وَبَيْنَهُمَا؛
خَمْسُ سَنْتِمِتْرَاتٍ مِنَ الْهَوَاءِ الرَّخْوِ
يَ تَ نَ ا ثَ رُ
فَوْقَ
ارْتِعَاشِ أَقْدَامِنَا بِفَرَحٍ.

بِلَحْظَةٍ أُولَى
أَطْفَأْنَا ظَلَامًا؛
بِنَدَى يَدَيْنَا الْوَرْدَتَيْنِ،
وَاشْتَعَلْنَا شَمْعَتَيْنِ؛
بِذُبَالَةٍ وَاحِدَةٍ.

أَنَا وَاحِدَتُكِ هُنَا
إِذًا..
أَنْتِ وَاحِدِي.

شَلَّالُكِ الْأَسْوَدُ

كَادَ يُخْفِينِي

لَوْلَا أَنْ رَآنِي

بُرْهَانُ لَهْثِكِ.

صُدْفَةُ الْأَثِيرِ اخْتَرَقَتْ

صَدَفَةَ الْيَأْسِ بِوَمْضِ رَنَّتِكِ الذَّاهِلَةِ..

ها أَنَا مُقَشَّرٌ مِثْلَ جَسَدٍ دُونَ ظِلِّهِ،

يَرْتَجِفُ دِفْئًا

مِنَ احْتِكَاكِ مُرُورِكِ

فَوْقَ

سِكِّينِي.

اِرْتِقَائِي

لِمَرْمَرِ

جِذْعِكِ الْوَرْدِيِّ

عَطَّلَ بَقِيَّةَ الْفَقْدِ عَنِ احْتِمَالِهِ.

اِرْتِبَاكُ نَايِ المَاءِ

كَادَ يَفْشَلُ عَزْفُ رَذَاذِهِ

لَوْلَا مَهَارَةُ أَصَابِعِكِ لِسَمَاعِ يَنْبُوعِهِ.

الْعُشْبُ الَّذِي احْتَوَى

وَزْنَ انْصِهَارِ ثُنَائِيَّتِنَا

لَمْ يَعُدْ يُدْرِكُ النَّوْمَ بَعْدَنَا،

بِخِفَّةِ مُخْمَلِهِ.

شَالُكِ المَنْسِيُّ

تَرَكَ عِطْرَ إِيقَاعِكِ فِي فَضَاءِ عُزْلَتِي

يَدُورُ بِي

كَدَائِخِ رَقْصٍ.

كَأَنْ كُنَّا

نَبْحَثُ عَنَّا..

كَأَنْ كُنَّا

نَسِيرُ إِلَيْنَا..
كَأَنْ لَمْ نَفْتَرِقْ غَدًا
إِلَّا لِوَعْدِ الْأَمْسِ.

(من: معجمٌ بكِ، ٢٠٠٧)

المُذْبِحَةُ

اللَّيْلَكُ

كَأَنْ دَائِمًا/ ..

هُنَالِكَ لَيْلَكٌ فِي أَزِقَّةِ إِيقَاعِهِ المُحَاصَرِ

كَصَمْتِ جَنَاحٍ شَاحِبِ الْفَمِ

يُطِيلُ تَحْدِيقَهُ فِي حَدِيقَةٍ بَلْهَاءَ

بَلْ هَا/ يَدُهُ الصُّغْرَى؛

أَعْلَى قَلِيلًا مِنْ فَزَّاعَةِ الْوَقْتِ،

وَالْكُبْرَى؛

أَقَلُّ قَلِيلًا مِنْ ثِمَارِ رَفِيفِهِ المُجَفَّفَةِ..

وَحِيدًا يُصَفِّقُ نَزْفًا عَلَى آثَارِ أَصْلَابِ مَطَرِهِ

كَأَنَّهُ ارْتِطَامُ ضَوْءٍ يَابِسٍ بِزُجَاجٍ مَرِيضٍ..

أَقُولُنِي:

دَعْنِي، أَيُّهَا الشِّعْرُ، أَنْظُرْ مِنْ فَوْقِ كَتِفَيَّ دونَ أَنْ أَرَاكَ؛

غَيْرُ قَادِرٍ أَنْتَ

عَلَى وَقْفِ مُذْبِحَةٍ فِي تُرَاثِ الضُّلُوعِ

أَوْ عَلَى الحُضُورِ ضِمْنَ تَقْوِيمٍ مَشْتَهَى

أَوْ عَلَى خِيَانَتِي..

تُبْ إِلَيَّ

وَقَبْلَهَا..

أَعْطِنِي مِرْوَحَةَ صَوْتِكَ كَيْ أَطْرُدَ غُبَارَ عَثَرَاتِي

أَوْ.. أَطْرُدَنِي.

الثَّيِّبُ

كَأَنَّهَا نَهَارٌ فِي ثَلَّاجَةِ الشُّعُورِ

أَوْ آنِيَةٌ مَصْقُولَةٌ بِأَظَافِرَ طَازَجَةٍ،

وَفَرَحٍ لَئِيمٍ..

كَيْفَ أُرْسِلُ أَخْطَاءَ خُطُوَاتِي قَبْلَ ارْتِكَابِهَا؟

أَيْنَ أَخْطَائِي؟

لَمْ تَزَلْ لَامِعَةً أَحْذِيَتُهُم فِي وُحُولِ أَسْرَارِهَا الثَّيِّبِ،

وَلَمْ تَزَلْ تُتْقِنُ الدَّمْعَ (لَا الشَّمْعَ)

فِي حَضْرَةِ مِرْآتِهَا/

أَعْلَى مِنَ الْقَامَةِ،

وَأَدْنَى مِنْ مَذْبَحَةٍ مُحَرْشَفَةٍ

فِي حَلْقِهَا الْيَبَابُ..

ثَمَّةَ مَنْ يُشْعِلُ مَاءً فِي بُرُودَةِ جَذْرِهَا الْمُضْطَرِبِ،

وَثَمَّةَ مَنْ يُطْفِئُ الصَّبَاحَاتِ عَلَى

وِسَادَةِ النَّدَمِ.

الْوِحَامُ

مَضَبَّبٌ ذلِكَ الْأَلَمُ مِنْ وِحَامِ النَّظَرَاتِ
يُرِيقُهَا بَرِيقًا مَطَعَّمًا بِالدُّوَارِ
يَهُزُّهَا غِنَاءٌ بِمُوسِيقَى غِشَاءٍ مُنْتَحَلٍ..

لَمْ تَكُنْ بِلَا مَلَامِحَ،
أَوْ خُطُوطٍ نَاصِعَةِ الْيَقِينِ
لكِنَّهَا تَنْمَحِي رُوَيْدًا؛
بِمَخَالِبَ عَمياءَ،
وَعَتْمَةٍ مُؤَرِّقَةٍ بِاجْتِثَاثِ مِشْكَاةِ الْبَصَرِ
تَمُرُّ غِبْطَتُهَا هَشَّةً
فَوْقَ
أَدْرَاجِ دَقَائِقِي الْمُجْمَرَةِ
آهٍ..
لَوْ أَسْتَطِيعُ إِخْفَاءَهَا كَسَاحِرٍ مُزَوْبَعٍ
دَاخِلَ زُجَاجَةٍ مُرَوَّضَةٍ،
وَأَسُدُّ فُوَّهَتَهَا بِلَاصِقِ حَيْرَتِي.

المَخَاضُ

أَصَابِعُ أَوْتَادٍ جَرِيحَةٍ

تَكَادُ تَتَلَاشَى أَعْمِدَةَ نَهَارٍ أَعْشَى؛

يُبْصِرُ أَيَّ شَيْءٍ سِوَى

إِحْسَاسِهِ الْيَلْمَسُهُ شِرَاعَ أُفُولٍ..

هَا سِكِّينُهُ تَطَّوَّحُ كَزِئْبَقٍ مَبْرِيِّ النَّوَاصِي

تَطَالُ أَحْشَاءَ ظِلِّي فِي تَغْيِيبِ صَاحِبِهِ/ أَنَا:

مَخَاضُ شَاهِدٍ أَمَامَ سَرِيرِ قَتَلَتِي،

وَخَلْفِي جَنَازَةٌ دُعِيتُ لِإِتْمَامِهَا عَرَّافًا آيِلًا

لِلْقَبْرِ

يَرْسُمُ عَشْرَتَهُ بِقُفَّازَاتِ كَفَنٍ عَلَى

جُدْرَانِ قَهْوَتِهِ المَالِحَةِ،

وَأُسْطُوَانِيٌّ عَزَاؤُهُ؛

إِذْ يَنْتَصِبُ الْعَوِيلُ بُخَارًا

زَائِدًا عَنْ حَاجَةِ الْفَجِيعَةِ،

وَمُغَادِرًا سُرَادِقَهُ بِعَيْنَيْ قَتَلَتِهِ.

السِّرِّيُّ

لَسْتِ مُعْجِزَةً

فِي عُنْقُودِهَا الْوَاجِفِ بِخُفَّيْهِ الْمَنْشُورَيْنِ

عَلَى

حِبَالِ احْتِشَادِي..

رُبَّمَا وَرْدَةٌ/

لكِنَّهَا تَغْتَالُ رَوْنَقَهَا بِرَائِحَةٍ مُغْنَطَةٍ..

رُبَّمَا طَائِرٌ/

يَتَبَادَلُ جَنَاحَيْهِ مِنْ يَدٍ

إِلَى يَدٍ

إِلَى جَاذِبِيَّةٍ مُتَنَاثِرَةٍ..

أَوْ..

تُصْبِحِينَ صَوْتًا فِي مَسَارِ سِلْكِكِ السِّرِّيِّ،

وَتُصْبِحِينَ عَلَى

نُعَاسِي.

الْفَاطِمُ

كَأَنَّنِي دُونِي/ .. خُذُونِي مَعًا؛
لَا تَتْرُكُوا شَيْئًا مِنْ تَفَاصِيلِي الْمُشْتَبَهِ بِهَا
فَكُلَّمَا عَاجَلَنِي قَمَرٌ حَارٌّ اللِّسَانِ الْمَسْنُونِ
أَخْطَأَتْهُ أَمْوَاهِي نَحْوَ

مَسَامَاتٍ

فِي مَنَادِيلِ بُكَاءٍ..

دَعُونِي مَعًا؛ أَصْرُخُ بِهُدُوءٍ
(أُزَيِّفُهُ لَكَ)
أَيُّهَا الضِّرْعُ مُزْهِرُ الْحَلَمَةِ:
لَا عَلَيْكَ مِنْ دُخَانِ الْحَنَانِ الْأَجْوَفِ
سَآتِي إِلَيَّ مُتَقَبِّبًا بَطْنَكَ الْيَتَّسِعُ لِأَكْثَرَ مِنْ جُثَّةٍ تَجْتَرُّ لَهْثَهَا
فَهُنَالِكَ نُزُلُ الْخَدِيعَةِ تَمَامًا،
وَمَا قَبْلَهُ؛

قُبْلَةٌ دُونَ هُبُوطِ حَمَائِمِهَا عَلَى

مَلْمَسِ نَجَاةٍ.

الْحَاضِنَةُ

عَسِيرٌ..

كَأَنْ لَا رَادَّ لِي

سِوَى فُسْحَةٍ حَاضِنَةٍ فِي أَحْشَائِهَا

فَأَحْتَفِظُ لِذَاتِي ذَاتَهَا الْمُتَأَرجِحَةَ

بَيْنَ

خَارِجٍ مُعْتِمٍ،

وَدَاخِلٍ مُتَلَهِّبٍ بِمَصَابِيحِ ثَلْجٍ أَزْرَق

ذلِكَ الَّذِي غَابَ عَنْ تَسَاقُطِ الْيَرَاعِ

عَلَى

نَسِيجِ رَحْمِهَا الْمُتَرَدِّدِ.

(من: أطلسُ الغبارِ، ٢٠٠٤)

مَنَازِلُ الْجُرْحِ الْفَاتِنِ

غِيَابٌ فِي أَوْجِ قِيَامَتِهِ،
وَسَاعَةٌ فَقَدَتْ تَوَازُنَ مِعْصَمَيْهَا عَلَى حَائِطِ الْأَلَمِ..
أُحَلِّقُ بِرَذَاذِ الْحُرُوفِ كَشَطَطِ عِنَاقٍ مُسْتَحِيلٍ
فَمَا مِنْ لَبْلَابَةٍ أَثِيرِيَّةٍ
تَتَسَلَّقُ زَمَنِي،
وَمَا مِنْ سِحْرٍ يَخْطُفُ نَظْرَتِي إِلَى فَدَاحَةِ حَوْضِهَا..
مُتَعَلِّقًا أَتَغَلْغَلُ فِي أَرَقِ النَّجْمِ تَشُدُّنِي جَاذِبِيَّةُ النَّدَمِ،
فَتَعَالَيْ حَيْثُ يَنْحَبِسُ مِلْحُ النَّبْرَةِ
دُونَ مَاءِ كَلَامٍ،

وَحَيْثُ أَوَانُ الْأَوَانِ آنِيَةٌ مِنْ

خَ.. زَ.. فٍ.

يُكَرِّسُنِي النَّفْيُ فِي مَرْمَى الْمَكْرِ

كَأَنَّهَا هَشَاشَةُ الصُّورَةِ تَسْنِدُهَا وَتِيرَةُ الصُّدْفَةِ

فَلَا أَبْلُغُ الْمُجَازَفَةَ التَّالِيَةَ

إِلَّا وَأَعْضَائِي تَتَشَبَّثُ بِالنُّحُولِ.

كَمْ مِنَ الْأَزِقَّةِ أَنْشُدُ خَلَاصًا

أَيَّتُهَا الْمُفَوَّضَةُ بِسَرَاحِي؟

لَيْتَنِي طَائِرُ الْفُصُولِ إِلَى أَغْصَانِكِ الدَّبِقَةِ.

أَتْرُكُ سُمَّ الْوَقْتِ يَتَخَاطَبُ فِي عُرُوقِي بِجَنَاحَيْنِ نَزِقَيْنِ

وَ...

آهٍ مِنْ قَوْسٍ لَا يَرْمِينِي عَلَى

سَفْحِ صَدْرِكِ

أَسْتَشْهِدُ... هُنَاكَ.

أَنَا، الْآنَ، بِحَاجَةٍ إِلَى؛

عُيُونِهِمْ مُطْفَأَةً

ثُقُوبِهِمْ حَوْلَاءَ

قَامَاتِهِم أَدْنَى مِنْ عُودِ ثِقَابٍ

وَحِذَاءٍ آخَرَ

كَيْ أَمُرَّ هذِهِ المَرَّةَ المُرَّةَ إِلَيْكِ

... وَقَدْ لَا أَصِلُ.

[لَا شَكَّ أَنَّنِي أَهْذِي بِصَحْوِي..

تَبًّا؛ لِلْمَسَافَاتِ

المَسَامَاتِ

وَالمَسَامِيرِ تَنْقُرُ الْقَلْبَ كَنِسْرٍ جَائِعٍ.]

يَخْتَلِطُ الطَّائِرُ بِطَيَرَانِهِ..

- مَا الْفَرْقُ؟

الشَّمْسُ بِأَشِعَّتِهَا..

- مَا الضَّوْءُ؟

الرَّمْلُ بِذَرَّاتِهِ..

- مَا الرِّيحُ؟

وَيَدِي بِرِيشَتِهَا مِنْ شِدَّةِ المَكَانِ الْوَاحِدِ.

رُبَّمَا أُكَلِّمُ شَكْلَ الظِّلِّ فِي جَسَدِي الْحَرُورِ

أُحَاوِلُ اشْتِبَاهَ نَوَارِسِ سِنَةٍ غَيْرِ مَا رَأَيْتُ

صَ دِ ي قَ ةً

قَ صِ ي دَ ةً

فِي المُخَيِّلَةِ

هِيَ أَبْعَدُ، فِي الْجِهَةِ التَّاسِعَةِ،

مِنْ مِتْعَتِي الْمُهْتَرِئَةِ.

كَمْ هِيَ الدَّوَائِرُ الْمُنْضَبِطَةُ عَلَيَّ

كَأَسَاوِرَ مِنْ عُشْبٍ مَرِيضٍ

لَا تَأْسِرُ وَلَا تُغْنِي مِنْ رُجُوعٍ..

كَمْ هِيَ..

كَمْ أَنَا..

كَمْ سَأَحْلُمُ، فِي دُوَارِي، بِبَنَفْسَجةٍ تُحَرِّكُ أَعْقَابِي

عَلَى أَعْقَابِهَا دُونَ خُطْوَةٍ مُؤَجَّلَةٍ..

... وَإِنَّكِ أَنْتِ

أَنْتِ وَحْدَكِ

وَحْدَكِ تُفَّاحَةُ الْعَطْفِ

فِي مُلْتَقَى الْمُنْعَطَفِ

تَكَادِينَ تَسْقُطِينَ عَالِيَةً عَلَى انْتِبَاهَةِ لِسَانِي

فَأَتَدَلَّى

فِيَّ مِثْلَ

حَبْلٍ يَجْرِي بِهَوَائِكِ مِنْ نُطْفَةٍ

مِنْ نُقْطَةٍ

مِنْ وَثْبَةٍ ثَابِتَةٍ.

ثَمَّةَ جِبَالٌ مُطْفَأَةٌ فِي طَرِيقِي إِلَى المَرْأَةِ- الْمِرْآةِ

قَمَرٌ ضَيِّقٌ عَلَى مِشْبَكِ عَيْنَيَّ

[كَيْفَ أَرَاهَا النَّظْرَةَ الْكَامِلَةَ؟]

وِدْيَانٌ مَلِيئَةٌ بِغُبَارِ المَاءِ

[لَا يُمْكِنُ النِّسْيَانُ كَدُخَانٍ يَبْتَعِدُ]

ثُمَّ..

مَا مِنْ قَدَمٍ، ذَاتِ سِعَةٍ، أَتَّكِئُ عَلَيْهَا

كَيْ أَصِلَ جَدْوَلِي بِنَهْرِكِ الْحَرِّيفِ.

كَأَنَّنِي اصْطِيَادِي؛

أَوْقَعْتُهَا فِي شَرَكِ شَرْنَقَةٍ فِي هَبَّةِ نُضُوجِهَا

حَيْثُ لَا صَوْتَ لِلصَّوْتِ فِيَّ

يَسْتَطِيعُ اجْتِيَازَ الْعَصَافِيرِ حُرَّةً فِي الضِّيَاءِ.

هُنَا كُلُّ شَيْءٍ،

وَلَا شَيْءَ فِي أَيِّ شَيْءٍ شَهِيٌّ سِوَى أَنْتِ وَحْدَكِ

بَيْنَ ا لْ أَ صَ ا بِ عِ

[أُفَتِّشُهَا- فَارِغَةً مِنْ ظِلَالِكِ]

أَيْنَ أَصَابِعُكِ الْآنِيَةُ؟

زَهْرَةُ الْيَاسَمِينِ بَيْنَ انْحِنَاءَيْنِ مُنْتَظِرَيْنِ؟

دِلْتَا لِطَمْيِ الظَّهْرِ نَحْوَ قَرَارٍ مَكِينٍ؟

وَقَلْبُكِ- نَحْوَ لَوْنِ الْقَلْبِ- هُنَا مَطْلَعِي؛
مَلِيءٌ بِعُصَارَةٍ جَامِدَةٍ، وَقُوَّةٍ لِاصْطِحَابِكِ
كَيْ لَا أَضَلَّ
وَلَا أَشْقَى؟

[مَزِيدًا مِنَ الْقَهْوَةِ الْبِكْرِ
السُّكَّرِ اللَّبِقِ فِي ذَوَبَانِ رَقْصَتِهِ
وَالدُّخَانِ الَّذِي يَهَبُ نَفْسَهُ لِطَبَقَةِ (الْأُوزُونِ)
أُرِيدُ أَنْ أَسْتَمِرَّ فِي يَقَظَتِي
كَيْ لَا يَفُوتَنِي حُلُمٌ بِهَا عَنْ سَطْرٍ.]

مَا أَبْغِيهِ؛
لَيْسَ أَقَلَّ مِنْ رَوْنَقٍ فِي كِبْرِيَائِهِ
فِي كِبْرِيتِهَا يُشْعِلُنِي ذُبَالَةً
فِي زَيْتِ الرُّوحِ.

عِنْدَمَا تُبْصِرُنِي..

- أَيُّهَا الْقَرِيبُ بِخَسَارَاتٍ مُشَرْنَقَةٍ-

لَيْسَ هذَا سِوَى تَشْبِيهِي بِنَرْجِسٍ لَا يَنْحَنِي إِلَّا لِأَعْلاهُ

حَيْثُ بِئْرُ غَيْمَتِهِ الْمُعَطَّلَةُ

أَوْ.. كِلتَاهُمَا.

سَأَنْتَظِرُ حَوَافَّ الْفَمِ

[شَفَةٌ مِنْهَا وَشَفَةٌ مِنِّي]

كَزَهْرَةٍ تَرْسُمُ عِطْرَهَا

عَلَى امْتِدَادِ لَحْظَةٍ تَامَّةٍ

تَتَسَاقَطُ

خَ لَ لَ

ضَبَابِي.

عِنْدَمَا تُبْصِرينَنِي..

- أَيَّتُهَا الْبَعِيدَةُ بِسُنُونُوَّاتٍ تَتَّقِدُ دَهْشَةً-

لَيْسَ هذَا سِوَاكِ تَشْتَهِينَنِي بِجَمَرَاتٍ

لَا تَتَكَاسَلُ فِي إِنَائِي.

خَفِيفَةٌ/

بَاذِخَةٌ/

مُسْرِفَةٌ/ فِي زَيفِهَا؛

- هذِهِ الْأَيَّامُ-

فِي حِسَابِ أَيَّامِي بِأَسَفٍ بَطِيءٍ..

أُخْلُدِي لِلْغَرَابَةِ الْمُنَمَّقَةِ

لِقَرْصَةِ الْحَسْمِ فِي حَجَرِ الْفَضَاءِ

لِلطُّفُولَةِ عَلَى عَتَبَةِ اللَّثْغِ قَبْلَ أَنْ أَتُوهَ قَائِمًا..

ثَمَّةَ ذَاكِرَةٌ صَاخِبَةٌ تَكَادُ تَتَلَوَّثُ بِحَرَائِقِ النَّوْمِ.

- يَمْتَدُّ الْبِلَّوْرُ نَحْوَكِ وَرْقَاءَ تَهْدِلُ أَبْجَدِيَّةَ الرُّوحِ..

- أَجْتَازُ الْجَسَدَ كَثَمَرَةٍ كُمَّثْرَى {لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} فِي غُبَارِ الْحَيَاةِ/ الْحِدَادِ..

- لِلطَّبِيعَةِ مَا أَشْتَهِي، وَلِلشَّهَوَاتِ أَنْ تَتَفَرَّسَ بِأَظَافِرِهَا كَيْ تَنْسَى..

-كُنْ دَائِمًا، هكَذَا أَنْصَحُنِي، مَلْمَحًا لِلتَّحَوُّلِ مِنْ ثَبَاتِكَ إِلَى ثَبَاتِكَ، كَصُبَّارَةٍ تَشْرَبُ مِنْ تَحْتِ جِلْدِهَا..

- مَا يَأْتِي لَا يَمْكُثُ فِي الرَّتَابَةِ، وَمَا يَعْبُرُ لَا يَتْرُكُ أَثَرًا أَكْثَرَ مِنْ نُقْطَةٍ فَوْقَ صَفِيحِ رَمْلٍ..

- هَبْنِي أَحْلُمُ كَسَمَكَةٍ مُجَفَّفَةٍ فِي بَحْرِ نَجَاةٍ..

- لَا أَحَدَ لِأَحَدٍ، سِوَى أَنْتَ [أَنَا] لَهُ، فَكَيْفَ أَنْتِ لِي؟

- يَمْتَدُّ خَيْطُ الْيَقَظَةِ كَيْ تَطِيشَ خَلْفَهُ إِلَى بُؤْرَةِ انْحِنَائِكِ..

- أَنْتِ وَالْهَدِيلُ أَمَلَانِ فِي وَاحِدٍ ضِدَّ الْيَأْسِ..

- أَيْنَ أُجْلِسُ الْحَدِيقَةَ كَيْ تَهَبَنِي يُنْبُوعَهَا الْغَرِيزِيَّ..

- الْحَرَائِقُ فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ، وَالْحُبُّ سَحَابَةٌ عَلَى حَبْلِ غَسِيلٍ فَوْقَ سَطْحٍ لَا يَتَقَبَّلُنَا..

- لِمَنْ أَنْتِ فِيَّ؟

قَدْ أَكُونُ شَجَرَةً تَكْتَرِثُ بِنَافِذَتِكِ الْمُغَلَّقَةِ..

يَصْحَبُنِي انْسِيَابِي إِلَى بَصِيرَتِي قَبْلَ بَصَرِي..

أَدْخُلُ الصُّورَةَ رَغْمَ إِطَارِهَا الْمَنِيعِ..

أَنْكُشُ الصَّفَاءَ لِهَدِيرِي الْبَلِيغِ..

أَعْتَلِي ذُرْوَةَ الْمَوْجَةِ وَلَا بَلَلَ..

فَمَنْ سَيَمْلَأُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ أَنَانَا

لِنَلْتَقِيَ فِي وَدَاعَةِ الْقَبْضِ عَلَيْنَا؟

أَطْلُبُ الرَّحْمَةَ بَعْدَ عَشَاءِ الْبَوْحِ،
حَيْثُ يمتَدُّ الْبِلَّوْرُ نَحْوَنَا
وَرْقَاءَ تَهْدِلُ أَبْجَدِيَّةَ الرُّوحِ الْوَاحِدَةِ.

كَأَنَّهُ- الْعُنقُودُ الأَخِيرُ فِي زَوَايَا الشَّجَرَةِ/
وَكَأَنَّهَا- يَدِي.

(من: هاوياتٌ مخصَّبةٌ، ٢٠٠٣)

رَحِيقُ أنَاهُ
فِي مِيزَانِ صَدْرِهَا الأبَدِيِّ

الْكَلَامُ كَالصَّمْتِ
(بِإِيمَاءَاتِهِ وَإِشَارَاتِهِ وَبَرَاءَاتِهِ)
وَاضِحٌ وَجَلِيٌّ
لَوْلَا غُمُوضُ الْقَارِئِ.

مَسْأَلَةُ وَقْتٍ لَا أَكْثَرَ،
وَيَعْصُرُ الْقَمَرُ رَحِيقَ أَنَاهُ
مِنْ قِبَابِ قَبْرِهِ السَّمَاوِيِّ،
وَسَيَبْتَسِمُ هُوَ أَخِيرًا، وَكَثِيرًا
(وَدُونَ رَسْمٍ بِلَوْنٍ أَصْفَرَ عَلَى الشِّفَاهِ)
بِاسْتِهْزَاءٍ، وَتَشَفٍّ

أَنِ اخْتَبَأَ طَازَجًا إِلَى حِينِهِ

... هُنَاكَ.

تُحَلِّقُ قُبَّرَتُهُ الْبَيْضَاءُ فَوْقَ رَأْسِهِ الْأَعْلَى

تَبُثُّهُ رَغْبَتَهَا،

وَجُوعَهَا إِلَيْهِ،

وَتَدْعُوهُ مِنْ عَلٍ

إِلَى عَلٍ

أَنْ يَتَأَمَّلَ بَيَاضَ جَنَاحَيْهَا الْعَطِرَيْنِ

مُقَابِلَ سَوَادِ الْأُخْرَيَاتِ الْكَامِلِ.

لَا يَمِيلُ إِزْمِيلُهُ إِلَّا إِلَى ظِلِّ مَرْمَرِهَا؛

يَنْقُشُ فِيهِ أَلْوَانَ طَيْفِهِ السَّاحِرِيَّةَ

فَلَا يَخْدُشُهُ بِحَوَاسِّهِ الْمُتَصَاعِدَةِ مِنْ طِينِ شَهْوَتِهِ

إِلَى قَرَارِهَا الْمَكِينِ

مِثْلَ لَبْلَابَةٍ شَبِقَةٍ.

الْجَسَدُ وَحْدَهُ مُمِلٌّ
لَوْلَا سِيَاحَةُ الرُّوحِ فِيهِ..
هكَذَا تُؤَوِّلُ شَهْوَةُ الرَّائِي.

تَمُرُّ الشَّمْسُ عَبْرَ الزُّجَاجِ،
وَيَظَلُّ بِكْرًا،
وَيَمُرُّ صَوْتُهُ عَبْرَ شَفَافِيَّتِهَا،
وَيَخْتَفِي فِيهَا.

تَوَاءَمَا فِي لَحْظَةِ اخْتِلَافٍ؛
فِي غِنَائِهِ سَحَابَةٌ تَنْثُرُ رَذَاذَ جُهْدِهِ عَلَيْهَا،
وَفِي عِطْرِهَا مُوسِيقَى مَلْسَاءُ تَفْرُشُ سَرِيرَ لِقَائِهِمَا..
مَعًا هَبَطَا عَلَى مُدَبَّبَاتِ الْأَرْضِ،
وَلَمَّا تَلْمَسْهُمَا بَعْدُ.

يَتِيهُ لَمْسَةً عَارِيَةً فِي وَعْيِهَا الْمَجْهُولِ،
وَلَا يَتَّقِي الْتِصَاقَهُ بِحَوَافِّهَا الْبِدَائِيَّةِ

أَوْ بِجُمَلِ نَظْرَتِهَا الْغَامِضَةِ..

يَتَسَاءَلُ:

هَلْ تَسْرِي كَهْرُبَاءُ مُفَاجَأَتِهِ فِي لَحَظَاتِهَا الْمُعْتِمَةِ؟

لَيْسَتْ جُثَّةً سَاخِنَةً

هكَذَا يُحِسُّهَا تُحِسُّهُ..

تُرَى:

مَنْ يَشْحَنُ مَنْ

(بِطَاقَتِهِ السَّاكِنَةِ)

فِي وِصَالِ ظِلَّيْهِمَا الْمُفْتَرِقَيْنِ؟

دَاخِلَ إِطَارِ لَوْحَتِهَا إِطَارٌ آخَرُ،

وَدَاخِلَ الْآخَرِ صُورَةٌ نَافِرَةٌ

بِأَلْوَانِ طَائِرٍ فَادِحٍ،

وَمَا بَيْنَهُمَا

يَخِفُّ لَهَا حَارِسًا

مِنْ بَشَاعَةِ تَفَتُّحِ أَوْرَاقِ بُغْضِ الْعُيُونِ.

إِنَّهَا فِي وُضُوحِ رُؤْيَةِ الْأَعْمَى
إِلَّا أَنَّ جَاذِبِيَّتَهَا تَتَكَاثَرُ دَائِمًا
بِطَعْمِ الْحَامِضِ السَّلِسِ،
وَالْبِهَارِ الرَّنَّانِ؛
سَهْلَةَ الْقِرَاءَةِ،
وَصَعْبَةَ الْحَنِينِ.

صَافِيَةٌ وَبَاهِرَةٌ بِبَاطِنٍ عَذْبٍ
يَتَلَاشَى فِي أَغْوَارِهَا الْحَالِمُ الْعَارِي،
ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ مُتَوَّجًا بِحَرَارَةِ خُلْجَانِهَا
وَلَمْ يَزَلْ يَتَفَوَّهُ الْعَطَشَ.

مَضَتْ فِيهِ؛
نِصْفُ لَيْلَةٍ،
وَنِصْفُ وَرَقَةٍ،
وَنِصْفُ دُوَاةٍ،
وَنِصْفُ مَقْعَدٍ،

وَنِصْفُ طُقُوسِ أَشْيَائِهِ الْحَاضِرَةِ
أَمَامَ جَبَرُوتِ أُلْفَتِهَا الْكَامِلَةِ يَرُدُّهُ
إِلَى الْبِدَايَةِ.

تَحْفُرُ ظِلَّهَا الصَّارِخَ فِي أَشْيَائِهِ، وَتَمْضِي
بَعِيدًا... إِلَيْهِ؛
هِيَ رَوْنَقُ الصُّورَةِ،
وَهُوَ أَصْلُ التَّجَلِّي.

لِأَنَّهُ يُحَاوِلُ النُّشُورَ فِي الْكَلَامِ
سَيَسْقُطُ خَرِيفُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهَا
خَاضِعًا مِنْ رَهْبَتِهِ؛
مِثْلَ جَنَّةٍ مُنْتَظَرَةٍ،
وَسَيَرَى أَعْمَالَهُ الطَّهُورَةَ- الْعَذْرَاءَ
فِي مِيزَانِ صَدْرِهَا الْأَبَدِيِّ، وَقَدْ تَسَاوَتْ
رَجْفَةُ ثَمَرَتَيْهِ.

(من: خلفَ قميصٍ نافرٍ، ١٩٩٩)

مِثْلُ عَزْفٍ
فَوْقَ أعْصَابِ زَنَابِق

.١

المَدَارَاتُ سَوَاءٌ،

وَالْقِطَارَاتُ نَخِيلٌ فِي خَيَالْ..

شَاقَنِي وَجْهُكِ مِنْ غِبْطَتِهِ

لَمْ أَزَلْ

صَفْحَةً أُولَى عَلَى رَسْمِ رِمَالْ.

.٢

الشُّعَيْرَاتُ نَسِيجٌ قَدْ يَطُولُ

نَحْوَ إِقْدَامِي إِلَى مِيرَاثِهَا..
أَنْتِ أُنْثَايَ، وَلِي فِيكِ أَبَارِيقُ التَّغَنِّي
حَيْثُ أَعْنِي،
وَمَوَاعِيدُ زَوَالْ.

.٣
الْحِكَايَاتُ جَمِيعًا
ضِدُّ هذَا الْخَوْفِ/ لِلشَّوْقِ عَلَى أَطْرَافِهِ
سِرْبُ أَسْمَائِكِ يَرْمِينِي مَصَابِيحَ جِدَالِي
عِطْرَكِ الْمَاضِي، وَسِرًّا
ضَالِعًا فِي الرَّيْبِ إِنْ كَانَ يُقَالْ.

.٤
هَلْ أُرَى وَحْدِي تَعَالِيمَ اتِّزَانِي؟
هَالِكٌ سُورُكِ بَيْنَ الْمَوْجَتَيْنْ؛
مَوْجَةِ النَّارِ إِذَا أَطْفَأْتُهَا
مَوْجَةِ الْمَاءِ إِذَا أَشْعَلْتُهَا

بِيَدَيْكِ..، وَهذَا مَا أَطَالْ.

٥.

مَسَّنِي عَرْشُكِ فِي غَفْوَتِهِ،

وَأَتَاحَ النَّدَى لِلنَّوْمِ قَبْلَ الذَّاكِرَةْ..

أَعْشَبَ الْوَقْتُ عَلَى جَفْنَيْ عُيُونِي

فِي انْتِظَارِي،

وَأَبَاحَ الْهَوَى ثِنْتَيْنِ لَـمَّا

خَضَّنِي طَعْمُ الْهُزَالْ.

٦.

كَانَ لِي عِنْدَكِ لَحْنٌ،

وَبَقَايَا مِنْ وُرَيْقَاتِ التَّمَنِّي..

كَيْفَ أَخْلَصْتِ لِوَهْمٍ؟

وَأَنَا بَعْضُ جُنُونٍ،

وَأَنَا كُلِّي: تَعَالْ.

.٧

فَتَحَتْ رُوحُكِ فَيْئًا

مِثْلَ عَزْفٍ فَوْقَ أَعْصَابِ زَنَابِقْ..

تَتْرُكِينَ الْآنَ أَحْزَانِي إِلَى أَسْبَابِهَا؟

لَيْتَنِي مِنْكِ قَصِيدَةْ؛

لَمْ يَعُدْ، بَعْدَكِ، فِي حِبْرِي اشْتِعَالْ.

.٨

بَعْضُ مَا أَطْعَمْتِنِي مِنْ صَحْنِكِ/ الْأُنْثَى عَلَى مَهْلٍ يَدُورُ

فِي عُرُوقِ الْأَبْجَدِيَّةْ

وَسَرَاحَاتِي الطِّوَالْ..

أَخْطَأَتْ قَبْلِيَ أَخْطَائِيْ مِرَارًا،

وَأَنَا

فِي عَرْشِكِ الْمَطْوِيِّ لَا أُنْسَى إِذَا غَابَ الْخَيَالْ.

.٩

فِي هُدُوءٍ

تَسْحَبُ السَّاعَةُ أَزْهَارًا مِنَ الْعُمْرِ الْبَخِيلْ
وَعُيُونًا مِنْ إِنَاءِ الْوَجْهِ فِينَا..
رُدِّنِي، يَا نَثْرَهَا، نَحْوِي بِخَيْطِ الْمُنْتَهَى،
وَاتْرُكِ الشِّعْرَ سُؤَالًا فِي سُؤَالْ.

.١٠

آخِرَ الْقَاعَةِ يَذْوِي عَاشِقٌ
بَعْدَ أَنْ يُنْسَى وَتُنْسَى الْكَلِمَاتْ..
وَهُنَا،
يَا رُوحِيَ الْأُخْرَى، إِذَا صَحَّ خَرِيفِي
أُذْكُرِي يَوْمًا لَدَيْكِ
ثُمَّ يَوْمًا
ضَاعَ فِي رَمْلِ الْقِتَالْ.

(من: كتابُ المُنادَى، ١٩٩٨)

كَمَا مَرَّ الْهَوَاءُ عَلَى رُخَامِ الذَّاكِرَةِ

مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ إِلَى سَرَادِيبِ النَّهَارْ
كَانَ الشِّتَاءُ يُطِلُّ مِنْ بَابَيْنِ فِي سَقْفِ الْحَكَايَا
كَانَ الشِّتَاءُ، وَكُنْتُ أَصْغَرَ مِنْ جِدَارٍ لَا يُسَافِرُ فِي يَدَيّ
مَا كُنْتُ أُدْرِكُ مَا الطَّرِيقُ
هَوًى يُفَتِّشُ عَنْ يَرَاعٍ فِي قَمِيصِي كَيْ يُدَوِّنَ مَا يُرِيدْ
وَأَنَا أُرِيدْ؛
فِيمَا مَضَى مِنْ عَتْمَةِ النَّفْسِ الْخَجُولَةِ
طَائِرَيْنِ وَحِصَّتَيْنِ مِنَ الْفَضَاءْ
وَكَذَا أُرِيدْ؛

فِيمَا سَيَأْتِي مِنْ رَبِيعٍ قَادِمٍ بَعْدَ المَسَاءْ
أَنْ أَكْتُبَ الضَّوْءَ المُغَايِرَ قَبْلَ شَمْسِ الصَّيْفِ
فَوْقَ المُنْحَنَى
مِنْ سَطْحِ سَطْرِي وَالمَدَى
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلِجَ النَّهَارُ مَدَارَهُ فِيمَا أَرَى مِنْ عَابِرَةْ.

نَيْسَانُ يَعْرِفُ كَيْفَ يَلْتَقِطُ الثِّمَارَ.. أَنَا ثِمَارِي غَائِرَةْ
فِي حُفْرَةِ الْآلَامِ، بَلْ جَسَدِي الطَّرِيِّ كَزَنْبَقَةْ
عِنْدِي أَقَاوِيلُ الْفِرَارِ مِنَ الْحَدِيقَةِ، إِنْ أَرَدْتُ، وَإِنَّنِي
بَعْدَ المَسَاءَاتِ الْكَثِيرَةِ مُرْهَقٌ
مِنْ عُشْبِهَا المَمْدُودِ مِنْ حُلُمِي إِلَى
مَا لَا يُطِلُّ مِنَ الْغُصُونِ الْفَائِرَةْ.

مَرَّتْ كَمَا يَمْشِي الْهُوَيْنَى
طَائِرُ الطَّاوُوسِ مُخْتَالًا بِرِيشٍ مِنْ جُنُونٍ صَاخِبٍ
فَرَّتْ عُيُونِي مِنْ عُيُونِي.. لَمْ أَجِدْ
وَصْفًا لِمَعْنَى أَنْ أَظَلَّ كَمَا يَلِيقُ المَشْهَدُ

قُلْتُ الْكَلَامَ جَمِيعَهُ؟

مَا قُلْتُ شَيْئًا..

أَصْدُقُ المَطَرَ الَّذِي قَالَ الرُّسُومَ عَلَى زُجَاجِي الْآدَمِيِّ،

وَلَمْ يَقُلْ:

إِنَّ الْبِدَايَةَ فِي اشْتِعَالِي حِينَمَا

مَرَّتْ كَمَا مَرَّ الْهَوَاءُ عَلَى رُخَامِ الذَّاكِرَةْ.

جَلَسَتْ حُرُوفٌ فَوْقَ أَوَّلِ رِحْلَةٍ لِلْقَلْبِ.. شِئْتُ رِسَالَةً

أُولَى لَهَا

شَاءَتْ قَصِيدَةٌ أَنْ تَجِيءَ بِزِيِّهَا الزَّغَبِيِّ فِي الْخَطِّ الْخَجُولْ

هِيَ قِصَّةٌ أُولَى.. افْتَعَلْتُ فَرَاشَةً

كَيْ تَلْحَقَ الضَّوْءَ الَّذِي يَنْسَابُ مِنْ شَجَرِ الْحُقُولْ

فَإِذَا اشْتِعَالِي حَالَةٌ ضِدَّ الرُّؤَى

وَإِذَا اشْتِعَالِي مَنْظَرُ الْوَرْدِ الَّذِي

يَنْسَابُ فَوْقَ المَاءِ نَحْوَ السَّائِرَةْ.

أَتَذَكَّرُ الْآنَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى شَفَتِي زَمَانًا لَا يَؤُوبْ

تِلْكَ الَّتِي قَدْ أَسْرَجَتْ أَوْصَافَهَا
فِي مُخْمَلِ الْأَيَّامِ، وَاعْتَلَتِ الْمَرَايَا وَحْدَهَا
لَا قَلْبَ عِنْدِي غَيْرَ مَا سَكَنَ اتِّسَاعَ الْحَرْفِ فِي صَدْرِي.. هُنَا
كَانَتْ حَدَائِقُ يَكْبُرُ النِّسْرِينُ فِيهَا دُونَ أَنْ يَجِدَ الْمَطَرْ
فَوْقَ احْتِرَاقَاتِ الْخَوَاطِرِ حَيْثُ يَلْهُو فِي غَدِي
عَبَثُ الْعُيُونِ؛ هِيَ الْعُيُونُ السَّاحِرَةْ.

مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ إِلَى مَوَاعِيدِ الْفَرَاغْ
شَقَّتْ جَمَالًا لَيْسَ يَأْتِينِي بِزَهْرَةِ أُقْحُوَانٍ وَاحِدَةْ
لِمَ لَمْ تَكُنْ لِي ذَاتَ يَوْمٍ حِصَّةٌ فِي الْمَائِدَةْ؟
لِمَ لَمْ تَكُنْ لِي يَا غَرِيبُ
أَنَا الْغَرِيبُ عَلَى الرَّصِيفِ
أَنَا الرَّصِيفُ عَلَى الطَّرِيقِ
أَنَا الطَّرِيقُ إِلَى الْمَدَى
وَأَنَا الْمَدَى
وَأَنَا الرَّدَى
مِنْ قَهْوَةِ الصُّبْحِ الشَّهِيَّةِ حَيْثُ لَيْلٌ لَا يَنَامُ

إِلَى احْتِفَالِي بِالدُّخَانْ
ذَهَبَ المَكَانُ بِمَنْ حَوَى مِنْ أُقْحُوَانْ
ذَهَبَ الشِّتَاءُ إِلَى الْغُيُومِ.. تَكَسَّرَتْ
فِيَّ النَّوَافِذُ، ثُمَّ طَالَتْ فِي عُيُونِي
حَالَةُ الجُدْرَانِ فِي ضِيقِ اخْتِيَارِي
بَيْنَ صَهْوَةِ صَفْحَةٍ أَرْمِي كَلَامِي مِنْ كَلَامِي فَوْقَهَا
أَوْ بَيْنَ رَكْضِي مُسْغَبًا نَحْوَ ابْتِعَادِ مُسَافِرَةْ.

هذِي حِكَايَةُ مَا سَيَأْتِي مِنْ فُصُولٍ فِي حَيَاةٍ مَاكِرَةْ
هذِي حِكَايَةُ مَا سَيَأْتِي؛ بَيْنَمَا
مَرَّتْ كَمَا مَرَّ الْهَوَاءُ عَلَى رُخَامِ الذَّاكِرَةْ
كَانَ اشْتِعَالِي دَهْشَةً لِلشِّعْرِ تَأْسِرُنِي، وَظَلَّتْ
دَهْشَتِي لِلْآنَ تَصْحَبُنِي إِلَى
مَعْنَى الْقَصِيدِ بِدُونِ تِلْكَ الْعَابِرَةْ.

(من: كلامُ مرَايا على شُرفتَيْن، ١٩٩٧)

صَدىً وَاحِدٌ فِي انْتِبَاهِ الْحَدِيدِ..
غِنَاءٌ غَرِيبٌ

غِنَاءٌ غَرِيبٌ هُنَاكَ سَيَبْقَى.. غِنَاءٌ غَرِيبُ

هُنَا أَوْ هُنَاكَ.. أُحَمِّلُ وِزْرًا

لِطَيْرِ المَرَاثِي الَّذِي يَعْتَلِي هَامِشِي الْمُخْمَلِيَّ،

وَإِنِّي قَرِيبُ،

وَأَقْرَبُ مِنْ جِلْدِ رَأْسِي الَّذِي لَا أَرَاهُ

أَرَاهُ يَلُفُّ انْتِشَارَ الْعِبَارَةِ أَنَّى ذَهَبْتُ

هُنَا أَوْ هُنَاكَ

أُؤَجِّلُهُ لِلرَّصِيفِ الْمُبَاغِتِ مِثْلَ شُرُودِ غَزَالَةِ وَقْتِي

إِلَى بَرِّهَا، حَيْثُ كَانَتْ قَدِيمًا

تُفَتِّشُ لِي عَنْ مَكَانِ السَّرَاحِ الَّذِي أَشْتَهِيهِ.. اشْتَهِينِي
زَمَانًا مِنَ الضَّوْءِ فِي عَتْمَاتِ المَكَانِ
كَأَنَّ السَّلَالِمَ، حِينَ أُصَافِحُ فِيهَا المَعَالِمَ، تَرْقَى غُيُومًا
وَإِنِّي بَعِيدٌ.. قَرِيبٌ..
صَدًى وَاحِدٌ فِي انْتِبَاهِ الحَدِيدِ
صَدًى وَاحِدٌ،
وَغِنَاءٌ غَرِيبٌ.

فَوَاصِلُ فِي عَثْرَاتِ الصَّبَاحِ.. أَقُولُ لِطَرْفِي:
تَهُونُ كَلَامًا،
وَوَرْدًا وَشَمْعًا،
وَعَيْنَا زُجَاجٍ تُطِلَّانِ مِنْ أَسْوَدِ النَّاظِرِينَ
عَلَى عُشْبِ صَوْتِي بِصَدْرِ السُّطُورِ..
أَكُونُ كَمَا شِئْتِ؛ نَهْرًا وَشِعْرًا
وَعُرْسَ غُبَارٍ أَرَاهُمْ وَرَائِي
وَرَائِي هُمُ دَائِمًا بِالفُؤُوسِ
وَبُؤْسِ النُّفُوسِ الَّتِي يَسْكُنُوهَا

صَدًى وَاحِدًا فِي اجْتِرَارِ الرِّيَاحِ..
غِنَائِي غَرِيبٌ عَلَى أَيْكِ رُوحِي
غِنَائِي غَرِيبٌ.

يَمِيلُونْ؛
إِذَا اللَّحْنُ مَالَ مِرَارًا عَلَى جِذْعِ نَخْلِي الطَّوِيلِ..
خُوَاءٌ وَمُرٌّ لِسَانُ الْهَوَاءِ المَرِيضِ.. اسْتَرِيحِي
مَعِي فِي غِنَائِي المُرَكَّبِ مِنْ حَالَةٍ لِلْبَنَفْسَجِ وَاللَّازَوَرْدِ،
وَحِبْرٍ بِطَعْمِ؛
نَدًى فِي الصَّبَاحِ
نَدًى فِي المَسَاءِ
مَدًى لِلسُّنُونُو الَّذِي لَا يَغِيبُ
عَنِ المَاءِ وَالْأَخْضَرِ المَشْرِقِيِّ
عَنِ النَّايِ وَالنَّارِ وَالْبَهْجَةِ المُشْتَهَاةِ
كَأُنْثَى الْخَيَالِ الَّتِي فِي اشْتِعَالِ الْعَوَاطِفِ تَأْتِي
إِلَيَّ حَنِينًا،
هِيَ الْآنَ عِنْدِي كَرَفِّ الْحَمَامِ

عَلَى أَصْدِقَاءِ الْكِتَابَةِ، حَيْثُ عَلَيْهِمْ يَطِيبُ
لِأَنَّ غِنَائِي غَرِيبُ.

أَنَا لَسْتُ وَحْدِي
وَإِنْ كُنْتُ وَحْدِي
أُطِيلُ رُؤَى الْيَاسَمِينِ الشَّغُوفِ بِشَمْسِ الْحِكَايَةِ
أُشْعِلُ لَيْلِي الَّذِي لَا يَزُولُ بِطَرْفَةِ عَيْنِ السُّؤَالِ
أَحُثُّ الظَّلَامَ الَّذِي يَتَأَخَّرُ عَنْ مَوْعِدِ الضَّوْءِ قَبْلَ طُلُوعِ
نَهَارِ الْقَصِيدَةِ مِنْ بَيْنِ حُزْمَةِ حُزْنِي..
أَقُولُ لِزَوْجِي الَّتِي تَفتَحُ الْقَلْبَ
لِلْأَصْدِقَاءِ عَلَى مَتْنِ بَهْوِ الْحَدِيقَةِ:
يَأْتِي زَمَانُ السَّكِينَةِ مُهْرَةَ عِطْرٍ،
وَإِكْلِيلَ نُورٍ،
وَيَأْتِي الرَّصِيفُ الرَّطِيبُ
فَكُلُّ كِتَابٍ، هُنَا فِي الْعَرَاءِ، جَدَاوِلُ نَارٍ
عَلَى قَشِّ ذَاكَ الْفَرَاغِ الْقَبِيحِ،
وَكُلُّ غِنَائِي غَرِيبُ.

عَلَى وَصْفِهَا نَامَتِ الْكَائِنَاتُ بِثَوْبِ الْبُثُورِ

تَسَاقَطَ عَنْهَا انْهِيَارُ الرُّسُومِ كَبُرْجِ رِمَالٍ..

دُخَانٌ.. هُوَ الْحُلُمُ المَعْدَنِيُّ

دُخَانٌ.. هُوَ الْوَرَقُ المَوْسِمِيُّ

دُخَانٌ.. رَهِيبُ

يَحُطُّ سَوَادَ رِدَاءِ الْغُرَابِ غِشَاءً لِعَيْنِي

لِئَلَّا أَرَى عُرْيَ بَابِ الْخِطَابِ الَّذِي لَا يَؤُوبُ..

هِيَ الْكَائِنَاتُ؛

تَمَاثِيلُ مِنْ غَفْلَةٍ فِي الْفِرَاشِ

وَأَعْجَازُ نَخْلٍ خُوَاءُ الْقِمَاشِ، وَظِلٌّ شَحُوبُ..

هُوَ الشِّعْرُ فَاكِهَةٌ لِرَدِيءِ الْفُصُولِ

أَنَا أَنْتَقِيهَا،

وَعِطْرُ إِنَاءِ غِنَائِي غَرِيبُ.

(من: لِظلاَلها الأَشجارُ ترفعُ شمسَها، ١٩٩٦)

وَحْدِي أُفَسِّرُ
مَا يُصَفِّقُ هَاتِفٌ

.١

لَيْسَتْ لَهَا كُلُّ الْفُصُولِ لِكَيْ تُصَادِقَ لِي غَدِي

كَانَتْ هَوَاتِفُ، وَالْفَضَاءُ هَوَاتِفٌ

فِي البَالِ تَمْشِي مِشْيَةَ الْعُصْفُورِ

فِي صَحْنِ الْغِنَاءِ، وَتَرْتَقِي

جُمَلًا مُحَلَّاةَ النَّشِيدِ.. أَنَا هُنَا

وَحْدِي أُفَسِّرُ مَا يُصَفِّقُ هَاتِفٌ

بِجَنَاحِ رَوْنَقِهِ الْوَحِيدِ.. أَنَا أُصَفِّقُ ثَانِيَةْ

بِجَنَاحِ صَوْتِي حِينَ أَشْعُرُ شُرْفَةً كَانَتْ لَهَا

عُنْقُودَ صَمْتِي كَيْ أَرَاهَا.. لَا أَرَاهَا فِي مَسِيرِي
نَحْوَ مَطْلَعِهَا الْجَمِيلِ، وَلَا أَرَى لِي نَاحِيَةْ..
هِيَ غَادِيَةْ،
وَأَنَا طِرَازٌ مُشْرَئِبُّ الشِّعْرِ يَلْسَعُنِي هَوًى
ذَاكَ الصَّهِيلُ مِنَ الْخَرِيفِ الْهَامِشِيِّ بِوَرْدَةٍ
لَمْ تُسْقِطِ الْأَوْرَاقَ مِنْ يَدِهَا عَلَى سَطْحِ الْجَبِينِ،
وَلَمْ يَكُنْ لِي ذَاتَ صَوْتٍ عِطْرُهُ فِيمَا سَمِعْتُ،
وَلَيْسَ لِي مِنْ بَاقِيَةْ.

.٢

كَانَ الْكَلَامُ هُوَ الْحَمَامُ.. هُوَ الْفَضَاءُ الدَّائِرِيُّ.. هُوَ ارْتِشَافَاتُ الظَّمَأْ،
وَهُوَ الْعَنَاقِيدُ الْأَخِيرَةُ فَوْقَ فَاهِي مَا انْطَفَأْ،
وَهُوَ الْغُرُوبُ.. هُوَ الْهُرُوبُ.. هُوَ النَّوَافِذُ أُغْلِقَتْ
فِي وَجْهِ طَلْقِ الْيَاسَمِينِ إِذَا تَسَلَّقَ غَيْبَهُ
أَوْ مَالَ مَيْلًا فَانْكَفَأْ،
وَهُوَ الْفَرَاغُ إِذَا تَأَخَّرَ صَدْرُهُ

عَمَّا أُرِيدُ، إِذَا خَطَوْتُ خَطا خَطَأْ.

.٣

هذِي الْبِدَايَةُ، أَمْ نِهَايَةُ مَا يُمَدُّ مِنَ الْوُصُولْ؟
سَقَطَ الْأَثِيرُ عَلَى شِرَاعِ الْقَلْبِ فِي
ذَاكَ المَسَاءِ فَمَا تُرَدُّ الْعَاصِفَةْ
عَنْ قُبْلَةِ الْأَجْرَاسِ فِي حُلُمِ القَبُولْ..
هَلْ أَنْتِ آخِرُ رَشْفَةٍ فِي الْحَلْقِ مَا انْسَكَبَتْ؟ فَمَا
هَدَأَ الْيَرَاعُ عَنِ الْكَلَامِ.. إِذًا أَرَى
أَنَّ احْتِفَالَاتِ الْعُيُونِ بَعِيدَةٌ
عَنْ يَاسَمِينِ الْوَقتِ، يُرْهِقُنِي الذُّبُولْ..
فَأَطِيرُ فَوْقَ بَوَاعِثِ الْأَلْفَاظِ مُنْكَسِرًا جَوًى
وَأَحُطُّ كَالطَّيْرِ الذَّهُولْ..
وَلِذَا أَقُولْ:
رُدِّي إِلَيْكِ بِدَايَتِي وَنِهَايَتِي
ثُمَّ اقْطِفِي قَمَرَ الْأُفُولْ.

٤.

لَا لَسْتِ لِي حَتَّى أُرَتِّبَ جَمْعَنَا فِي سَاعَةٍ،

أَوْ نَسْتَطِيعَ هُنَا الْوُقُوفْ..

إِنَّ الحُرُوفَ هِيَ الْحُرُوفْ؛

إِنْ لَمْ تُسَافِرْ فِي وَرِيدَيْنَا إِلَى

ذَاكَ الرُّوَاقِ الْبَاطِنِيِّ مِنَ ارْتِجَافَاتِ الظُّرُوفْ.

٥.

أَلْقَيْتُ وَجْهِي فَوْقَ مَا

يَهَبُ الْقَصِيدَةَ مِنْ بَهَاءِ الْحَرْفِ، لَمْ

أَجِدِ الْقَصِيدَةْ..

أَيُّ الْجُنُونِ أَنَا بِهِ بَعْدَ انْتِشَارِ هَوَائِهَا

حَوْلَ اشْتِعَالَاتِي الْجَدِيدَةْ؟

أَيُّ الْحُضُورِ هَوَى بِهَا، ذَاكَ الصَّبَاحَ، فَأَرَّقَتْ

بَعْضَ الظُّنُونِ عَنِ الْكَلَامِ، وَأَطْلَقَتْ

قَوْسَ السِّهَامِ، وَأَجْمَعَتْ

أَنْ لَا تُعِيدَهْ؟

لَا تَدْخُلِي عُشْبَ الشِّتَاءِ، فَلَيْسَ لِي
قَمَرٌ هُنَاكَ عَلَى النَّوَافِذِ يَنْتَقِي
حَبَّ الْكَلَامِ إِذَا تَسَتَّرَ هَاتِفٌ
يَرْمِي عَلَى أُذُنِي بَرِيدَهْ.

.٦

هَلْ كُنْتِ أَنْتِ الْمُشْتَهَاةَ لِصَهْوَةِ الْقَوْلِ - الْحَنِينْ؟
نَهْرًا رَمَيْتِ عَلَى الشِّفَاهِ، وَحَالَةً
كَانَتْ تُفَسَّرُ كَالنَّشِيدِ الْمُسْتَجِدِّ إِلَى غَدٍ
قَدْ لَا أُقَابِلُ بَرْقَهُ الْبَرِّيَّ فِي الْحُلُمِ الْكَمِينْ..
هَلْ كَانَ وَعْدٌ، ثُمَّ ضَوْءٌ فِي عُيُونِكِ كَيْ تُدَانِيَ سَاحَةً
مَسْكُونَةَ الشُّعَرَاءِ وَالطَّلَلِ الْمُوَازِي لِلضَّحَايَا الْغَائِبِينْ؟
مَرَّتْ مَوَاعِيدُ الظُّهُورِ إِلَى تَفَاصِيلِ الْأُفُولِ، وَإِنَّ لِي
سَقْفَ الْبَرَاءَةِ حِينَ أَعْنِي قِصَّةً
خَرَجَتْ تُفَتِّشُ عَنْ بُطُولَةِ طَقْسِهَا
الْمَنْفِيِّ فِي الصَّمْتِ الْحَزِينْ.

(من: أَنتِ وأَنا والأَبيضُ سيّءُ الذِّكرِ، ١٩٩٥)

تَسَاؤُلَاتُ غَرِيبِ الْبَنَفْسَجِ وَقَرِيبِ النَّوَارِسِ

عَلَى الرَّمْلِ مِنِّي النَّشِيدُ- النَّفِيرُ،

وَأَكْثَرُ أَوْصَافِيَ الْمُتْعَبَاتْ،

وَيَهْمِي عَلَيَّ غَرِيبُ الْبَنَفْسَجِ:

مَا مَوْعِدُ الصُّبْحِ؟ مَا الْأُمْنِيَاتْ؟

أَرَى خَشَبَ الْوَقْتِ بَيْنَ الْمَوَاقِفِ؛

ضَحْلَ الصُّرُوحِ

كَثِيرَ الْقُرُوحِ

يُرَاوِغُ فِي عَتْمَةٍ لَمْ تَخُنِّي قَلِيلًا

فَأَبْطَلَ أَوْزَانَهُ الْبَاقِيَاتْ،

وَيَهْمِي عَلَيَّ قَرِيبُ النَّوَارِسِ:

مَنْ يَفْتِكُ الرَّمْلَ بَعْدَ المَسِيرِ؛

أَبَحْرٌ يُمَاكِرُ وَطْأَ الْخُطَى

أَمِ الرِّيحُ عَصْفٌ عَلَى الْفَائِتَاتْ؟

عَلَى الرَّمْلِ مِنِّي السَّبِيلُ الطَّوِيلُ

وَأَطْوَلُ أَيَّامِيَ الْقَادِمَاتْ.

.٢

مَذَاقُ التَّوَغُّلِ فِي لَحْظَتَيَّ شَدِيدُ الْفَرَاغِ،

وَأَحْسَبُ أَنِّي انْتَبَهْتُ لِظَنِّي،

وَأُمْسِكُ جِذْعَ الْغِنَاءِ لِأَبْقَى

عَلَى طَعْمِ هذَا التُّرَابِ أُغَنِّي،

وَأَعْرِفُ مَا لَا يَطِيقُ الْكَلَامُ

كَلَامَ الصُّخُورِ عَلَى مَاءِ صَحْنِي،

وَأَنِّي، وَأَنِّي؛

جُمُوعُ الشَّهَادَةِ

طَلْقُ الْإِعَادَةِ

مَسْرَى الْوِلَادَةِ

بَيْنِي وَبَيْنِي..

حُدُودُ الْقَوَاعِدِ لَيْسَتْ ظِلَالًا،

وَتِلْكَ المَوَاعِيدُ هَبَّتْ بِضَعْفِ الْأَحَادِيثِ بُشْرَى،

وَبُشْرَى الْهَيَاكِلِ لَيْسَتْ سَلَالِمَ نَحْوَ التَّمَنِّي..

هَوَايَ عَلَى حَافَّةِ الْغَيْمِ أَنْقَى الْحَبَائِلِ؛

أَصْعَدُ/ أَهْبِطُ

ضِدَّ الزَّخَارِفِ يَمْشِي الْفَضَاءُ

عَلَى صَفْحَةِ الْأَرْضِ مِنْهَا وَمِنِّي،

وَمِنِّي، وَمِنِّي؛

مَسَالِكُ هذَا الرَّحِيقِ الْمُصَفَّى

أُهَيِّئُ هذَا التَّوَهُّجَ حَتَّى الصَّبَاحِ

فَأَرْمِي حَصَى الْقَلْبِ فَوْقَ المَرَايَا

لِأَكْسِرَ مَا ظَلَّ مِنْهَا، وَإِنِّي

عَلَى الْعَتْمِ لَا يَعْتَرِينِي النُّعَاسُ،

وَلَا أَخْلَعُ الْأَرْضَ بَعْدَ الزَّفِيرِ،

وَأَشْهَقُ أَوْصَافَهَا حَيْثُ أَعْنِي.

.٣

مَضَى مَا مَضَى مِنْ جَدِيدِ الْحَرَائِقِ
مَنْ يُمْسِكُ الْيَأْسَ وَالافْتِعَالْ؟
بِأَنَّ الْمَدَى شَاسِعٌ بِالْمُسُوخِ
فَكَيْفَ تَكُونُ الْقِوَامُ الطِّوَالْ؟
وَأَنَّ السُّلَالَاتِ نَفْسُ السُّلَالَاتِ
هَلْ يَنْبُتُ النَّهْرُ كُلَّ الْفُصُولِ
يُؤَصِّلُ طَبْعَ التُّرَابِ السَّؤُولِ،
وَيَنْشُرُ أَلْوَانَهُ كَالظِّلَالْ؟
أَهذَا السُّؤَال الَّذِي فِي الْعُزُوفِ عَنْ الْوَعْدِ
حَتَّى تَضَايَقَ مِنْهُ السُّؤَالْ؟
صُرَاخُ الْقَبِيلَةِ فِي أَيِّ وَادٍ
فَكَيْفَ الصَّدَى يَسْتَعِيدُ الْبِلَادَ
أَمَاكِنَ لَيْسَتْ تُبَاحُ لِطَيْرٍ
أَتَى فِي خِضَمٍّ سُكُونِ احْتِمَالْ؟

وَكَيْفَ احْتِوَاءُ الْحَوَافِرِ فِيهِ
عَلَى ضِفَّةِ الْقَلْبِ بَعْدَ الرِّمَالْ؟
مُحَالٌ يُحَاوِلُ فِيَّ التَّتَارُ
يُؤَوِّلُ أَحْوَاضَهُ بِارْتِخَاءِ الْقَوَاعِدِ
يَكْسِرُ مَا تَمَّ مِنْ رَعْدِ بَوْحِي
مُحَالٌ يُحَاوِلُ فَرْعَ اكْتِمَالْ.

.٤

تَغَرَّبْتُ فِي فُرْقَتِي مُرْغَمًا
جَلَسْتُ أُوَاظِبُ حَرْفَ الْبَيَاضِ
عَلَى أَسْوَدِ الضَّوْءِ مِنْ حَرْفِهِمْ،
وَمِثْلَ انْسِيَابِ جَدَاوِلِ مَاءِ الشَّرَايِينِ مِنِّي
عَلَى جِلْدِ جِسْمِي
وَخَزْتُ السُّطُورَ عَلَى نَحْتِهِمْ
بِأَقْلَامِ هذِي الْعُرُوقِ الْمُطِلَّةِ لَمَّا نَزَفْتُ
رَسَمْتُ احْتِمَالًا عَلَى صَلْفِهِمْ،
وَسَوَّيْتُ هذَا الْهُتَافَ حُقُولًا

أَدُقُّ ثِمَارَ الشَّهَادَةِ فَوْقَ الْعُرُوشِ،

وَأَطْوِي قُبُورِي الْجَدِيدَةَ فِيهِم،

وَأَدْفِنُ آخِرَ أَوْثَانِهِمْ

هُنَا سَاحِلُ الانْدِفَاعِ الْمُفَاجِئِ ضِدَّ النِّهَايَةِ

نَحْوَ غَزِيرِ الْوُرُودِ الْبِدَايَةِ

حَتَّى الْوُصُولَ لِأَكْفَانِهِمْ

هُنَا مَوْسِمٌ وَاحِدٌ لِلدُّخُولِ،

وَخَارِجَ فِعْلِ التَّوَحُّدِ فَصْلُ الْفِصَامِ

فَحَتَّامَ أُخْفِي الْعَذَابَ الْكَبِيرَ بِكِيسِ الْجَسَدْ؟

وَكَيْفَ انْتِظَارِي لِآلَامِهِمْ؟

هُنَا مَنْظَرٌ وَاحِدٌ لِلْأَبَدْ؛

مَمَالِكُ تَهْوِي عَلَى كَعْبِ ظِلِّي

وَظِلِّي انْتِهَاءٌ لِأَحْلَامِهِمْ.

(من: الوميضُ الأَخيرُ بعدَ التقاطِ الصُّورةِ، ١٩٩٤)

بَابٌ إِلَيْكَ، وَلَيْسَ لِي إِلاّ خَلاَصُ الأُقْحُوَانِ

(١)

بَابٌ إِلَيْكَ وَمَا عَلَيْكَ سِوَى الْقَسَاوَةِ فَالدُّخُولْ

أَرَّقْتَنَا زَمَنًا، عَلَى جَنبَاتِنَا

تَهْوِي طُيُورُ النَّوْمِ ثَاقِبَةً، وَيُسْبِغُهَا النُّحُولْ

قِسْطًا أَثِيرِيَّ الشَّتَاتِ، مُدَجَّجًا

بِالصَّمْتِ.. يَرْمِي هَامِشًا نَحْوَ الْوُصُولْ

لَا أَرْقُبُ الْقَسَمَاتِ مُزْدَهِرًا، وَأَعْرِفُ رِحْلَةَ

الطُّرُقِ الَّتِي فِي جَوْهَرِ الْأَصْفَادِ.. مُنْكَسِرًا رَأَيْتُ بَشَاشَةَ

المَطَرِ المُعَلَّقِ فِي سَمَاءِ الصَّوْتِ.. أَرْكُضُ حَالِمًا

لِلدَّهْشَةِ المُلْقَاةِ مِنْ
حِبْرِ السَّمَاءِ عَلَى صَحَائِفِ ذُرْوَةِ
الْوَقْتِ الْأَصِيلِ هُنَا، وَأَحْتَمِلُ ابْتِزَازَ رِدَائِيَ
الشَّتَوِيِّ، أَوْ
رَقْصَ الدَّقَائِقِ حَوْلَ تَأْوِيلِ الصَّقِيعِ عَلَى مَسَاحَتِيَ الَّتِي
قَدْ عُلِّقَتْ
رَقَّاصَ هذَا الْوَهْمِ مِنْ
يُمْنِ المَسِيرِ إِلَى شِمَالِ الْحَدِّ فِي نَهْبِ الشُّمُولْ.

(٢)

قِطَعٌ هُوَ التَّفْكِيرُ لَوْ كَانَ اخْتِلَافًا حَوْلَ مَائِدَةِ الْأُصُولْ..
فَسَّرْتُ هذَا الْوَهْمَ، لَمْ
أَنْصَبْ إِلَيْكَ، وَسِعْتُ ذَاكِرَتِي لِأَمْلأَ رَوْحَةَ
المَعْنَى ضَجِيجًا عَاقِلًا
مَا سَرَّنِي مَا شِئْتَ، لكِنِّي خَشِيتُ غِشَاوَةَ
الْقَلْبِ الَّتِي رَسَمُوا
بِالْإِصْبَعِ المَكْنُونِ مَغْرُوزًا عَلَى جُرْحِ الْحُقُولْ..

هَلْ كَانَ إِلَّا أَنْ أَرَاكَ وِسَادَةَ النَّوْمِ الْخَجُولْ؟
نُسِجَتْ عَلَى مَهْلِ الْخُيُوطِ، يَنَامُ نَاسِجُهَا عَلَى
أَعْشَابِهَا،
وَيُتَرْجِمُ الْأَقْوَالَ أَكْفَانًا لِيَعْرُوكَ الْقَبُولْ..
هٰذَا افْتِعَالُ الْعُرْسِ، لَمْ
تَتَزَوَّجِ السَّاعَاتُ، رَقْصًا قَدْ رَكِبْتَ الْهَوْدَجَ
الْمَبْثُوثَ فِي رِيحِ الْكَلَامِ، وَلِلْكَلَامِ حَلَاوَةٌ
فَوْقَ اللِّسَانِ، وَلِلِّسَانِ حَبَائِلٌ
هَبَطَتْ إِلَيْكَ لِتَرْفَعَ الْحَدَقَاتِ عَنْ أَعْشَاشِهَا،
وَأَرَاهُ مُكْتَنِزًا بَنَفْسَجَكَ الْغَرِيبَ، فَهَلْ تَرَى
مَا لَا يَرَى الدُّورِيُّ فِي عَصْرِ الذُّبُولْ؟

(٣)

قِطَعٌ مِنَ اللَّيْلِ اسْتَقَرَّتْ فَوْقَ قَارِعَةِ الْفُصُولْ
هَلْ عَوْسَجُ اللُّغَةِ الْقَدِيمِ سَرَى بِأَوْرِدَةِ الذُّهُولْ؟
بَابًا وَرِثْتُ عَنِ النَّوَافِذِ، شُرَّعًا
فِي الضَّوْءِ فِي رُوحِ الْمَسَاحَةِ، يَنْهَضُ

الْبِكْرُ الْمُكِرُّ، وَمَا أَنَا
فِي الرِّيقِ إِلَّا بَيْلَسَانَ نَشِيدِيَ/ الْإِيقَاعَ، أَوْ
جُمَلَ الْحَدَائِقِ مَا تَطُولْ
لَا أَسْتَرِيبُ خَزَائِنَ الْمِيقَاتِ، لكِنْ أَصْطَفِي
مَاذَا أَقُولُ
نَهْرًا يُجَدِّلُ بَاسِقَاتِ النَّخْلِ، يَطْوِي صَفْحَةً
لِلرَّمْلِ، أُخْدُودًا يُمَدُّ إِلَى شَوَاطِئِنَا الْبَعِيدَةِ عَنْ كِسَاءِ
الْبَحْرِ كَيْ تَتَسَلَّمَ الْبَاقَاتُ خُضْرَتَهَا، وَيَمْشِي شَارِعُ
النَّسَمَاتِ مُكْتَمِلَ الْقَوَامِ إِلَى أَزِقَّةِ رُوحِنَا،
وَحَرَارَةِ الْأَكْوَابِ، لَمْ نَشْرَبْ مَدًى
تَتَلَعْثَمُ الذِّكْرَى بِهِ
زَمَنًا مَسَائِيَّ الْغِطَاءِ، وَلَيْسَ يَدْخُلُ فِي الْأُفُولْ.

(٤)

عَتْمٌ عَلَى لَيْلِي يَطُولْ
لَيْلٌ عَلَى عَتْمِي يَسِيلُ لُعَابُهُ
فِي الْحَلْقِ، أَوْ وَجْهٌ لِنَرْجِسَةِ الْمَرَايَا، الْمَاءِ، قِفْ

كَيْ نَرْفَعَ الْأَطْلَالَ عَنْ

أُفُقٍ يَغِيبُ، وَذُرْوَةِ

الْآتِي الْمُخَضَّبِ أَيُّهَا النِّسْرِينُ، وَلْنَشْرَعْ سَوِيًّا بِاحْتِمَالِ فَظَاظَةِ

التَّزْوِيرِ، مَا كَتَبُوا عَلَى

أَجْسَادِنَا بِالنَّارِ، هَلْ

نُنْهِي تَقَمُّصَ وَجْهِهِ الْعَارِيِّ فِي هذِي الطُّلُولْ،

وَنُبَلِّلُ الْأَعْشَابَ فِي مِيقَاتِهَا الْمَرْسُومِ مِنْ

وَحْلِ الْجَفَافِ الطَّيِّعِ التَّشْكِيلِ وَالتَّعْلِيلِ، نَقْلَعُ حَالَةَ

لِلْبُؤْسِ لَمْ تَسْقُطْ ثِمَارُ غُرُورِهَا

عَنْ جِذْعِ غُصَّتِنَا الْكَبِيرَةِ أَيُّهَا النِّسْرِينُ، أَوْ

تَذْوِي لِسَاقَيْهَا الْجُهُولْ؟

(٥)

إِنِّي أُقَاوِمُ مَوْجَةَ النِّسْيَانِ فِي بَحْرِ الْحُلُولْ

أَمْشِي إِلَى مَا لَيْسَ بِي نَحْوَ اتِّكَاءِ الْأَتْرِبَةْ

أُفْشِي السُّؤَالَ إِلَى السُّؤَالِ، وَيَا فَرَاغَ الْأَجْوِبَةْ

لَمْ نَنْتَظِرْ أَنْ نَحْتَوِي

فِينَا بَوَاكِيرَ الْفَرَائِضِ، وَاشْتَعَلْنَا مِنْ بَوَاكِيرِ انْغِمَاسِ
الْوَحْلِ فِي ظِلِّ الْمَوَانِئِ، وَانْكَتَبْنَا صُورَةً
حَجَرِيَّةَ الْقَسَمَاتِ، لَمْ نَنْهَلْ مَوَائِدَ عُمْرِنَا
حَتَّى نُفَتِّحَ صِيغَةً لِلرُّوحِ عَنْ سُبُلِ السَّبِيلْ
فَزِعٌ بَقَاءُ بَقَائِنَا ضِمْنَ احْتِوَاءِ الْمُسْتَحِيلْ،
وَلِذَا فَرَغْتُ مِنَ الْغُبَارِ، وَقَدْ غَسَلْتُ الذَّاكِرَةْ
مِنْ صَدْمَةِ الصُّوَرِ الْمُبَاحَةِ، وَالْعُيُونِ النَّافِرَةْ
كَانَتْ تُصَالِحُ مَا يَهِبُّ عَلَى الْخَرَابِ مِنَ الْجَرِيمَةِ بِالرُّسُومْ
كَانَتْ عَلَى حَوْضِي تَحُومْ
هِيَ مَذْبَحَةْ؛
دَامَتْ أَظَافِرُهَا تُبَعْثِرُ مَا يُطِلُّ عَلَى النَّشِيدِ مِنَ الْجَسَدْ
ثُمَّ اسْتَوَى فِيهَا الْعَدَدْ
هِيَ مَا لَدَيْكَ، وَمَا عَلَيْكَ سِوَى التَّرَفُّعِ وَالْخُرُوجْ
مِنْ ثُلَّةِ الْأَرْقَامِ لِلْجَسَدِ الْجَرِيحِ، وَمِنْ عَبَاءَاتِ الْغُبَارْ
بَلْ شُدَّ مَا بَيْنَ الْبَسِيطَةِ وَالْمِيَاهِ إِلَى النَّهَارْ
هِيَ مَذْبَحَةْ؛
لَمْ يَنْسَكِبْ فِيهَا سِوَى

دَمِنَا الْبَرِيءِ، وَكَانَ يَتْلُوهَا حِصَارْ.

(٦)

بَدَلًا مِنَ الْمَوْتِ الْبَطِيءِ، أُفَسِّرُ الزَّهْرَ/ الْأَوَانْ
بَابٌ إِلَيْكَ وَلَيْسَ لِي إِلَّا خَلَاصُ الْأُقْحُوَانْ..
حِمْلٌ ثَقِيلٌ هذِهِ الصُّوَرُ الْمُرَكَّبَةُ الأَخِيرَةُ، فَانْتَشِرْ
غَيْمًا يُعِدُّ الْمُسْتَحِيلَ، مُغَايِرًا سُحُبَ الزَّمَانْ،
وَلْتَسْقِنِي مِمَّا رُوِيتَ مِنِ ارْتِفَاعِكَ فِي الْمَغِيبْ
صَمْتٌ كَئِيبْ..
هذَا الْبَقَا صَمْتٌ كَئِيبْ
غَطَّى مَحَاجِرَ يَاسَمِينِ الْبَدْءِ مُفْتَعِلًا، وَقَدْ غَطَّى الْمَكَانْ
لِلنِّصْفِ مِنْهُ تَوَاتُرُ الْمَاضِي السَّحِيقِ، وَآخَرٌ ضِعْفُ الْمَكَانْ
هُمْ أَسْلَفُوا فِي الْفِعْلِ، وَاسْتَبَقُوا الْمَسَاحَةَ وَالظُّنُونْ
لَمْ يُسْرِفُوا فِي نَافِلَاتِ الْقَوْلِ، بَلْ
هَدَؤُوا عَلَى بُعْدِ الْقِنَاعِ مِنَ افْتِرَاسِ
الْوَجْهِ، وَالرَّسْمِ الْمُزَيَّفِ فِي تَعَابِيرِ الْعُيُونْ
كُنْ مَنْ تَكُونْ

كُنْ مَنْ تَكُونُ سِوَى احْتِضَارِ الزَّهْرِ مُلْتَوِيًا عَلَى
دَرْجِ الرِّمَاحْ
كُنْ مَنْ تَكُونُ سِوَى احْتِفَالِ
الْأَمْسِ – فِي نَدَمٍ – عَلَى لَعِبِ الرِّيَاحْ
أَنَا لِلصَّبَاحْ
لِلذُّرْوَةِ الْفَجْرِيَّةِ
الْآفَاقِ، وَالصُّوَرِ الْقَرِيبَةِ مِنْ بُلُوغِ الْيَاسَمِينِ جِدَارَ قَامَتِنَا الطَّرِيِّ
لِكَيْ يَشُدَّ قَوَامَنَا
نَحْوَ الْحَقِيقَةِ فِي التَّرَفُّعِ وَالصُّعُودْ
لَا لِلْقُعُودْ
أَنَا لِلْبَقَاءِ الْمُلْهَمِ؛
حَبَّاتُ مَاءٍ يَرْتَوِي الْحِنَّاءُ مِنْهُ مُغَالِبًا
صِفْرَ الْوُجُودْ.

(من: حالاتٌ في اتِّساعِ الرُّوحِ، ١٩٩٢)

فَوَاصِلُ فِي الْغِبْطَةِ الْمُشْتَهَاةِ

لِعِشْرِينَ يَوْمًا أُضِيءُ

لِعِشْرِينَ يَوْمًا

أَظَلُّ كَلَامًا بِحَجْمِ الْفَرَاشَةِ يُغْرِي إِنَائِي

بِبَسْطِ النُّفُوذِ عَلَى رَغْبَةٍ فِي خَفَايَا المَسَاءِ..

لِعِشْرِينَ يَوْمًا وَبَعْضِ الدَّقَائِقِ

تَلْهُو الْعَقَارِبُ فِي سَاعَتِي سَاعَةً مِنْ حَرَائِقَ

أَهْرَمُ ثَانِيَةً لِلْأَمَامِ

فَأَدْفَعُ حُزْنًا لِبَرٍّ أَخِيرٍ، وَأَمْضِي

لِبَابٍ يُفَتِّشُ عَنِّي

وَقَدْ لَا أَرَاهُ، وَقَدْ لَا يَرَانِي

وَأَهْرَمُ ثَانِيَةً لِلْوَرَاءِ الْعَسِيرِ وَأُفْضِي

لِنَافِذَةٍ فِي الْجِدَارِ الْمُعَلَّقِ فَوْقَ الْغُيُومِ وَفَوْقَ الزِّحَامِ

تُفَكِّكُ بَعْضِي..

لِعِشْرِينَ يَوْمًا

أُفَتِّحُ لَيْلًا

وَظِلًّا مِنَ الْوَرَقِ الْمُسْتَبَاحِ بِمَحْوِ الْكَلَامِ

بِلَيْلِ الرُّكَامِ

أَرَى شَارِعًا فِي الْغُبَارِ الْغَرِيبِ

وَعَاصِفَةَ الثَّلْجِ وَالاحْتِدَامِ

أَسِيرُ عَلَى حَافَّةِ النَّفْسِ أَهْذِي

يَطُولُ اللُّهَاثُ وَيَجْرَحُ وَمْضِي.

تَهَيَّأْتُ لِلرَّحْمَةِ الْقَاتِلَةْ

تَهَيَّأْتُ مِثْلَ ارْتِفَاعِ الرَّمَادِ، وَعَصْفِ الثَّوَانِي

تَهَيَّأْتُ مِثْلَ انْدِفَاعِ الْمَعَانِي

أُبَدِّدُ كُلَّ الْفَرَاغِ الرَّهِيبِ

وَأَنْشَقُّ بَوَّابَةَ لِلْأَغَانِي..

تَهَيَّأْتُ حَتَّى امْتِلَاكِ الْحَنِينِ

وَحَتَّى اكْتِمَالِ الْمَلاَمِحِ فِي فَرْحَةِ الرُّوحِ

فِي شَهْوَةِ الرَّعْشِ

فِي تُرْجُمَانِ الْفُتُونِ..

تَهَيَّأْتُ فِي سَاحَةٍ مُنْتَقَاةٍ

وَعَصْرٍ يُغَادِرُ أَسْمَاءَهُ الذَّابِلَاتِ

وَيَجْمَعُ أَعْضَاءَهُ الْمُفْرَقَةْ

يَمُدُّ إِلَيَّ عِنَاقَ الزَّنَابِقِ

طَوْقَ النَّجَاةِ الَّذِي لَيْسَ يَأْتِي

وَيَظْهَرُ فِي صُورَةٍ مُطْلَقَةْ.

-

نِدَاءٌ مِنَ الْوَجْهِ بَيْنَ الْجِهَاتِ وَنَبْعِ السَّرَابِ

اكْتَمَلْتُ

عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ فَضَاءِ الزُّجَاجِ

وَسِرْتُ

لِنَاحِيَةٍ فِي الْعِنَاقِ الْبَعِيدِ

وَمِلْتُ

إِلَى حَيْثُ شَاءَتْ بِأَنْ تَحْتَوِيَنِي الرِّيَاحُ

وَشِئْتُ

لَعَلِّيَ أَبْلُغُ قِمَّةَ هذَا النِّدَاءِ الْمُوَارَبِ، لكِنْ

لِأَقْرَبَ مِنْ ظِلِّهِ

مَا اقْتَرَبْتُ

وَعُدْتُ؛

إِلَى حَيْثُ نَأْيُ النِّدَاءِ الْمُعَاكِسِ فِينَا

وَذَابَ الْفَضَاءُ.. الزُّجَاجُ،

وَصِرْتُ

أَقُولَ عَلَى هَامِشِ الْحُلْمِ: كَانَ وَكُنْتُ.

فَوَاصِلُ فِي الْغِبْطَةِ الْمُشْتَهَاةِ

قَوَاطِعُ فِي الرَّغْبَةِ الْمُبْكِرَةْ

سَأَذْهَبُ نَحْوَ الْتِيَاعِ الْجُفُونِ

وَنَحْوَ ابْتِدَاءِ السَّنَا وَالسُّنُونِ

لِأَصْرُخَ: هذَا عَذَابُ الْغِيَابِ.. الظُّنُونِ

وَتِلْكَ هِيَ النَّظْرَةُ المُنْكِرَةْ

أَمُجُّ انْقِطَاعًا لِحِينٍ يَجِيءُ عَلَى حِينِ لَيْلَتِهِ المُسْفِرَةْ

تقَلَّصْتُ أَكْثَرَ مِمَّا يُرِيدُ الرَّدَى

تَبَعْثَرْتُ أَكْثَرَ مِنْ نَغْمَةٍ فِي الصَّدَى

عَلَى حِينِ أَعْيُنِهِ المُبْصِرَةْ

وَصِحْتُ لِذَاتِي لِأَنِّي

كَأَنِّي الَّذِي تَاهَ مِنْهُ وَمِنِّي

وَلَمَّ الْكَلَامَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ

وَضَمَّ السُّؤَالَ إِلَى شَفَتَيْهِ

وَغَاصَ معَ المَوْجَةِ الْعَابِرَةْ

إِلَى حَيْثُ جَاءَ النِّدَاءُ المُشَاكِسُ فِينَا

وَذَابَ الحِوَارُ، وَقَامَ الجِدَارُ، وَبُحْتُ

عَلَى هَامِشِ الرَّمْلِ لِلْبَحْرِ:

كَانَ وَكُنْتُ.

(من: ثلاثيَّةُ القَلَقِ ٨٦-٩٠، ١٩٩٢)

الْوَقْتُ صَارَ الزَّوْبَعَةَ

الشَّمْسُ قَلْبُ الْعَاشِقَةْ،

وَالشَّوْكُ فِي جَسَدِ الضَّمِيرْ..

آنَتْ لِأَحْلاَمِ الوُصُولِ بِأَنْ تَصِيرَ حَقِيقَةً

بَعْدَ المَوَاتْ..

آنَتْ لِأَزْهَارِ الْخَرِيفِ الْمُشْرَئِبَّةِ

أَنْ يُوَازِيَهَا الْخَرِيفْ،

فَالرَّمْلُ صَدْرُكَ يَا مَطَرْ

انْزِفْ عَلَى المَوْتِ المُكَرَّرِ فِي صَنَادِيقِ القِيَامَةْ،

وَأَعِدْ وِسَامَ المَعْرَكَةْ.

اللَّيْلُ بَحْرٌ لِلنِّيَامْ،
وَحُرُوفُ أَفْكَارِي تَطِيرُ إِلَى الْعُيُونِ الْمُوصَدَةْ؛
بِالصَّمْتِ، أَوْ رَقْدِ الْهَيَامْ.

جَوْعَانُ يَا قَدَرِي؛
مُتَلَهِّفٌ لِلزَّيْتِ، وَالزَّيْتُونِ، وَالشِّعْرِ/ الرَّغِيفْ
مُتَلَهِّفٌ لِلْفَارِسِ الْآتِي
عَلَى كَبِدِ النَّهَارِ
يُمَزِّقُ الْكَعْبَ الْقَمِيءْ،
فَلْتُعْطِنِي زَادِي أَرُشُّ عَلَى الْمَدَائِنِ نَارَ عِشْقِي
وَالْكُهُوفْ..
فَالْوَقْتُ صَارَ الزَّوْبَعَةْ،
وَالْمَجْدُ إِنْجِيلُ الشِّفَاهِ الْمُلْصَقَةْ،
وَالْحُبُّ يَا (لَاوْرَا) النَّجَاةُ مِنَ النَّجَاةْ.

دُومِي لَعَلَّكِ تَدْخُلِينَ
مَرَابِعَ الْغَسَقِ الْكَئِيبَةْ،

أَوْ تُوصِلِي نَهْرَ الْخُلُودِ بِنَارِ شَوْقِي
كَيْ أُوَاصِلَ فِعْلَ حُبِّكِ.

سَنَةٌ تَمُرُّ وَأَنْتِ زَارِعَةُ الْبَنَفْسَجِ
فِي خَيَاشِيمِ الْكَهَانَةْ،
وَمُسُوحِيَ الْبَيْضَاءُ لَوَّنَهَا جَرَسُ الْبُكَاءْ..
عَيْنَاكِ تَغْتَسِلَانِ فِي حَوْضِ الدِّمَاءْ،
وَتُوَزِّعُ الْأَلَقَ الْعَبُوسَ
عَلَى مَدَاخِلِ غُرْبَتِي.

(لَاوْرَا)..
وَحُلْمُكِ خَاطِرِي/ زَادِي/ وَفَقْرِي وَالْقَرِيحَةْ:
سَأَقُصُّ أَشْجَارَ الصَّلِيبِ،
وَأَعْبُرُ الْمِيلَادَ بَيْنَ السَّرْوِ
أَنْضُجُ فِي زَمَانِي.

دَقَّ النِّدَاءُ ثَوَانِيَ الْعُمْرِ الطَّلِيقَةِ

فِي جُذُورِي..
غَابَ التَّقَوْقُعُ فِي تَلَافِيفِ الْحَيَاةْ،
وَأَنَا عَلَى خَيْلِي أُطَارِدُكِ اللِّقَاءَ
فَلَا تَبُوحِي بِالدُّمُوعْ..
إِنِّي أُحِبُّكِ تَسْتُرِينَ الْحُزْنَ فِي جَيْبِي الْمُثَقَّبْ.

أُعْطِيكِ زَادِيَ لَوْ أَتَانِي مُضْمَحِلًّا فِي عَطَائِهْ..
أُعْطِيكِ رُوحِي؛
إِنَّهَا وَالشِّعْرُ تُمْطِرُ فَرْحَةً صُغْرَى، وَلَكِنْ
قُرْبَ عَيْنَيْكِ سَتَكْبُرُ..
لَمْ تَعُدْ لِي بَعْدَكِ الدُّنيَا تُوَرِّدُ فِي رَبِيعِي..
صَارَ مِنِّي الْمَوْتُ أَقْرَبَ فِي رَحِيلِكِ.

الْجُوعُ مَأْخُوذٌ لِذَاتِي؛
جُوعُ ذَاكِرَتِي لِطَيْفٍ مِنْ وُعُودِكِ،
وَالنَّوَى شَيْءٌ كَرَعْشِ الْبَرْقِ
يَشْرَبُ نَخْبَ صَمْتِكِ،

وَالْهَوَى يَطْوِي أَسَارِيرِي، وَيَفْضَحُهَا بَعِيدًا
بَيْنَ أَكْوَامِ الدُّرُوبِ الْمُسْتَبِدَّةْ.

أَنَا مُذْ دَخَلْتُ الْغَيْمَ أَمْطَرْتُ، وَلكِنْ
فِي وِعَائِكِ؛
كَانَ حَجْمُ الدَّمْعِ أَكْبَرْ/
كَانَ حَجْمُ الْعَيْنِ أَكْبَرْ.

أَنَا لَمْ أَزَلْ فِي الْبَحْثِ عَنْكِ؛
أَسْتَمِدُّ الضَّوْءَ مِنْ عَيْنٍ رَأَتْنِي
- ذَاتَ لَيْلَةْ -
أَدْخَلَتْنِي فِي دَهَالِيزِ الْوُجُومِ،
وَأَخْرَجَتْنِي صَائِحًا بِالرُّوحِ
أَسْعَى نَحْوَ تُرْبِكْ.

الْيَاسَمِينُ سَيُخْرِجُ الْمَوْتَى بِكَفٍّ ضَارِعَةْ،
وَالْآنَ حَانَ الْبَعْثُ/ وَقْتُ الْقَارِعَةْ

...

...

...

وَالْوَقْتُ وَقْتُ الزَّوْبَعَةْ.

(من: الخيلُ والأُنثى، ١٩٨٠)

محمَّد حلمي الرِّيشة
بطاقةٌ ذاتيَّةٌ - أدبيَّةٌ

- مواليدُ مدينةِ نابُلُسَ - فِلَسطين.
- نالَ درجةَ البكالوريوس في الاقتصادِ والعلومِ الإداريَّةِ، ودرجةَ البكالوريوس في الأَدبِ العربيِّ.
- عملَ في عدَّةِ وظائفَ في مجالِ تخصُّصِهِ حتَّى سَنة (٢٠٠٠).
- انتقلَ إلى العملِ في (بيت الشِّعر الفلسطينيِّ)، وتفرَّغَ للعملِ الشِّعري.
- عملَ محرِّرًا ثقافيًّا.
- شاركَ ويشاركُ في عديدٍ منَ المؤتمراتِ والنَّدواتِ المحليَّةِ والعربيَّةِ والدُّوليَّةِ.
- تُرجمتْ لهُ عديدٌ من النُّصوص الشِّعرية والنَّثرية إلى اللُّغات الإنجليزيَّة والفرنسيَّة والبلغاريَّة والإيطاليَّة والإسبانيَّة.
- يعملُ مديرَ دائرةِ المطبوعاتِ والنَّشرِ/ رئيسَ التَّحرير في (بيت الشِّعر الفلسطينيِّ).

الأَعْمَالُ الشِّعْرِيَّةُ :

- الخَيْلُ وَالأُنْثَى (١٩٨٠).
- حَالَاتٌ فِي اتِّسَاعِ الرُّوحِ (١٩٩٢).
- الْوَمِيضُ الأَخِيرُ بَعْدَ الْتِقَاطِ الصُّورَةِ (١٩٩٤).
- أَنْتِ وَأَنَا وَالأَبْيَضُ سَيِّءُ الذِّكْرِ (١٩٩٥).

- ثُلاثِيَّةُ الْقَلَقِ ٨٦- ٩٠ (١٩٩٥).
- لِظِلَالِهَا الْأَشْجَارُ تَرْفَعُ شَمْسَهَا (١٩٩٦).
- كَلَامُ مَرَايَا عَلَى شُرْفَتَيْنِ (١٩٩٧).
- كِتَابُ الْمُنَادَى (١٩٩٨).
- خَلْفَ قَمِيصٍ نَافِرٍ (١٩٩٩).
- هَاوِيَاتٌ مُخَصَّبَةٌ (٢٠٠٣).
- أَطْلَسُ الْغُبَارِ (٢٠٠٤).
- مُعْجَمٌ بِكِ (٢٠٠٧).
- الْأَعْمَالُ الشِّعْرِيَّةُ- ثَلَاثَةُ مُجَلَّدَاتٍ (٢٠٠٨).
- كَأَعْمَى تَقُودُنِي قَصَبَةُ النَّأْيِ (٢٠٠٨).

الْأَعْمَالُ الْأُخْرَى :

- زَفَرَاتُ الْهَوَامِشِ (٢٠٠٠).
- مُعْجَمُ شُعَرَاءِ فِلَسْطِين (٢٠٠٣).
- شُعَرَاءُ فِلَسْطِين فِي نِصْفِ قَرْنٍ (١٩٥٠-٢٠٠٠) تَوْثِيقٌ أَنطُولُوجِيٌّ/ بِالْاشْتِرَاكِ مَع مُرَاد السُّودَانِي (٢٠٠٤).
- ظِلَالُ الرَّقْصِ- دِرَاسَاتٌ فِي شِعْرِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة- إِعْدَادٌ وَتَحْرِيرٌ (٢٠٠٤).
- الْإِشْرَاقَةُ الْمُجَنَّحَةُ- لَحْظَةُ الْبَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ الْقَصِيدَةِ- شَهَادَاتٌ/ بِالاشْتِرَاكِ مَع آمَال عَوَّاد رَضْوَان (٢٠٠٧).

- إِيقَاعَاتٌ بَرِّيَّةٌ- شِعْرِيَّاتٌ فِلَسْطِينِيَّةٌ مُخْتَارَةٌ- جزْءَانِ/ بِالْاشْتِرَاكِ مَع مُرَاد السُّودَانِي (٢٠٠٧).
- نَوَارِسٌ مِنَ الْبَحْرِ الْبَعِيدِ الْقَرِيبِ- المَشْهَدُ الشِّعْرِيُّ الجْدِيدُ فِي فِلَسْطِين المُحْتَلَّةِ ١٩٤٨/ بِالاشْتِرَاكِ مَع آمَال عَوَّاد رَضْوَان (٢٠٠٨).
- مَحْمُود دَرْوِيش- صُورَةُ الشَّاعِرِ بِعُيُونٍ فِلَسْطِينِيَّةٍ خَضْرَاءَ/ بِالاشْتِرَاكِ مَع آمَال عَوَّاد رَضْوَان وَنَاظِم حَسُّون (٢٠٠٨).
- مَرَايَا الصَّهِيلِ الأَزْرَق- رُؤْيَةٌ. قِرَاءَاتُ. حوَارَاتٌ (٢٠١٠).

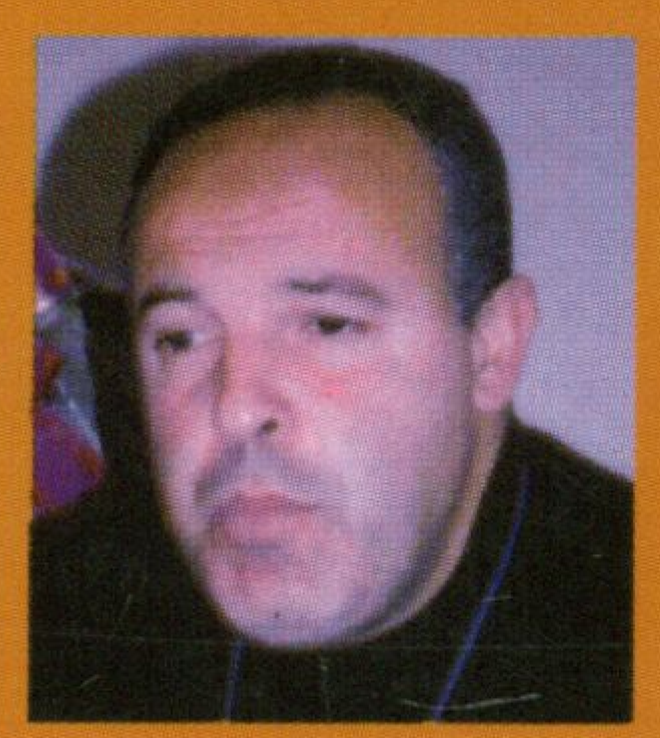
الأَعْمَالُ المُتَرْجَمَةُ:

- لِمَاذَا هَمَسَ الْعُشْبُ ثَانِيَةً؟ مُخْتَارَاتٌ شِعْرِيَّةٌ مِنْ "مُشَاهَدَةُ النَّارِ" لِلشَّاعِرِ كِرِيسْتُوفَرْ مِيرِيلْ (٢٠٠٧).

دِرَاسَاتٌ نَقْدِيَّةٌ عَنِ الشَّاعِرِ:

- عَلَاءُ الدِّينِ كَاتِبَة: مَرَاتِبُ النَّصِّ- قِرَاءَةٌ فِي سِيرَةِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة الشِّعْرِيَّةِ (٢٠٠١).
- د. خَلِيل إِبْرَاهِيم حَسُّونَة: ضِفَافُ الأُنْثَى- سَطْوَةُ اللَّحْظَةِ وَطُقُوسُ النَّصِّ- مُقَارَبَاتٌ فِي شِعْرِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة (٢٠٠٥).

الفهرست



أحمد الدمناتي

من مواليد 26 يوليوز 1966 بطنجة، شاعر وناقد.

فاز بجائزة ناجي نعمان الأدبية العالمية للشعر بلبنان، دورة 2005.

كتب دراسات و مقالات نقدية في الشعر والقصة والتشكيل والفوتوغرافيا.

ترجمت قصائده إلى عدة لغات.

من أعماله :

أحبك بجنون البحر، شعر، القاهرة، 1996.

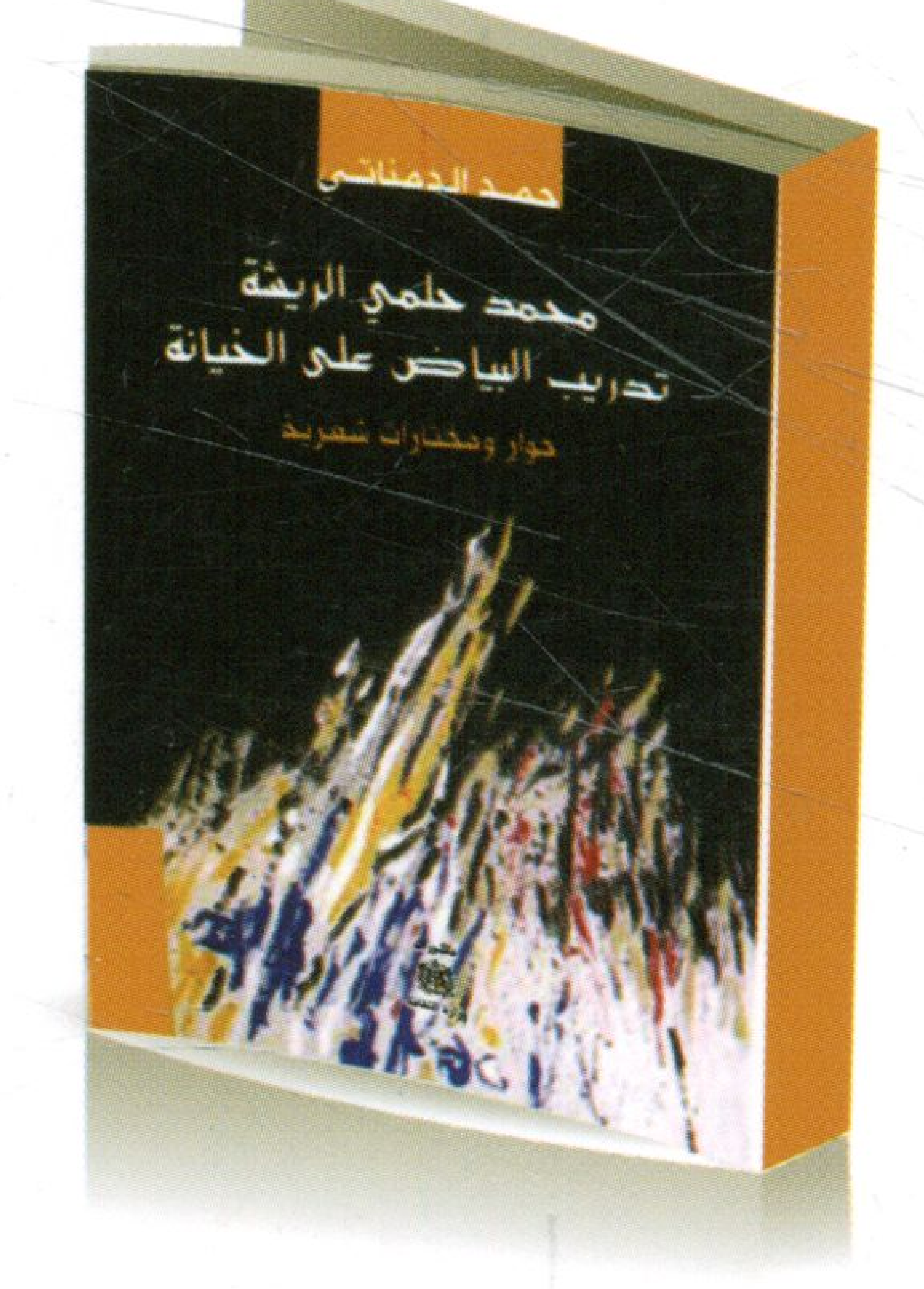
امرأة تلبس البحر، شعر، الرباط، 2005.

العزلة غيرت عناوينها باكرا، شعر، الرباط، 2011.

طفل مكفن بالقصيدة، شعر، الكويت، 2012.

التصميم والطباعة : مطبعة دار





الثمن : 35 درهم